مجلة معهد الإمام الشاطبي

جماليات النظم القرآني في قصة أصحاب الجنة

في سورة القلم

د . عبد الرحمن بن رجاء الله الجامعي السلمي

الأستاذ المشارك بقسم اللغة العربية – كلية الآداب والعلوم الإنسانية /جامعة الملك عبد العزيز

- من مواليد عام ١٣٩٢هـ بالمملكة العربية السعودية.
- تخرج في كلية الآداب بجامعة الملك عبد العزيز بمدينة جدة عام ١٤١٨هـ.
- نال شهادة الماجستير من قسم الأدب والبلاغة بكلية اللغة العربية في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ١٤٢٥هـ بأطروحته: **"شعر الأسر بين أبي فراس الحمداني والمعتمد بن عباد"**، كما نال منه أيضا شهادة الدكتوراه عام ١٤٢٨هـ بأطروحته: **"خطب خلفاء بني أمية وأمرائهم: خصائصها الموضوعية وسماتها الفنية"**.
- من بحوثه المحكمة المنشورة: **" النص القرآني في منظور الدراسة الأدبية: الموقف والمنهج"، " دعاء الأنبياء في القرآن الكريم: دراسة بلاغية تحليلية" ،"كنز الإيجاز في شرح علاقات المجاز لحسن جمال الدين الحلبي: تحقيق ودراسة"**.
- البريد الشبكي: alsulami101@hotmail.com

الملخص

يتناول هذا البحث دراسة قصة أصحاب الجنة الواردة في سورة القلم دراسة بلاغية أدبية ، وقد عنونته بـــ «**جماليات النظم القرآني في قصة أصحاب الجنة في سورة القلم** ».

وقد تناولت في تمهيده، خلاصة قصة أصحاب الجنة، ومفهوم القصة في القرآن الكريم، وتطرقت إلى مناسبة القصة لما قبلها وما بعدها من الآيات في سورة القلم، ثم ختمت التمهيد ببيان وجه التناسب بين بداية القصة ونهايتها.

ثم جاء المبحث الأول، وفيه تناولت الملامح البلاغية في أحداث القصة ومشاهدها وكانت المشاهد على النحو التالي :

المشهد الأول : مشهد المؤامرة.

المشهد الثاني : مشهد التدمير والإهلاك.

المشهد الثالث: مشهد الانطلاق نحو تنفيذ المؤامرة.

المشهد الرابع : مشهد رؤية الجنَّة بعد إهلاكها وتوبتهم بعد ذلك.

وفي المبحث الثاني كانت الدراسة الأدبية وفيها تناولت :

أسلوب القصّ وعرض الأحداث، ودقّة التصوير، والإيقاع النَّغمي.

ثم كانت الخاتمة وفيها أوردت أهم النتائج والتوصيات.

والله أسأل أن يجعله خالصاً لوجه الكريم. وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن القرآن الكريم هو المرجع الأساس الذي ينبغي أن ترجع إليه الفنون الإسلامية التي هي فنون إنسانية رفيعة المستوى، وذلك من أجل استلهام أسلوبه المعجز وطريقته في التعبير والأداء، وإبراز خصائصه الجمالية.

وفي أثناء التأمل في قصص القرآن الكريم لا تخطئ العين روعة هذا القصص وجماله؛ من خلال طريقة العرض وتنسيق الأداء وبراعة التصوير، يستوي في ذلك جميع قصص القرآن الكريم.

وقد دفعني هذا التأمل إلى اختيار قصة من قصص القرآن الكريم؛ من أجل تذوقها تذوقاً جماليًا، واستلهام ما فيها من إعجاز بياني آسر يصلح أن يكون مثالاً يحتذى في مفاهيمه وطريقة أدائه.

وفي القرآن الكريم قصص بلغت ذروة الإعجاز، على قصرها وشدة إيجازها المكثف، وإصابة جوهر المعنى، عبر كلام موجز، وإشارة دالّة؛ مما يعجز عن الإتيان بمثله البشر قاطبة.

ومن تلك القصص قصة أصحاب الجنَّة الواردة في سورة القلم، فقد عرضت هذه القصة عرضاً بيانياً مميزاً من خلال مشاهد مثيرة، حتى كأنَّ السامع أو القارئ لها يشهد أحداثها وفصولها تتوالى أمام عينيه تنبض بالحياة والحركة؛ مما دفعني لاختيارها لتكون مدارًا للبحث والدراسة .

ويسعى البحث ـ إن شاء الله ـ لتحقيق الأهداف التالية:

- تعزيز ودعم الوعي الفني والجمالي للقصص القرآني، والدعوة إلى تذوقه تذوقاً بلاغياً وأدبياً.

- الكشف عن الملامح البلاغية والأدبية المتآزرة في قصة أصحاب الجنّة.

- تأكيد أنَّ للقصة القرآنية منهجاً متميزاً في بنائها المحكم، وصياغتها الدقيقة، وعرضها المشوق.

- إبراز أهمية المنهج البلاغي والأدبي في الكشف عن المعاني والإقناع بها.

- دراسة القصّة القرآنية دراسة بلاغية وأدبية وفق رؤية تراعي وضعه المقدس، وتأخذ في الحسبان خصوصيته التي تميزه عن غيره من النصوص البشرية.

إطار البحث :

يقتصر البحث على دراسة قصة أصحاب الجنة الواردة في سورة القلم وهي قوله تعالى: ﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ (١٧) وَلَا يَسْتَثْنُونَ (١٨) فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ (١٩) فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ (٢٠) فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ (٢١) أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ (٢٢) فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ (٢٣) أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ (٢٤) وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ (٢٥) فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ (٢٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٢٧) قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ (٢٨) قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (٢٩) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ (٣٠) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ (٣١) عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ (٣٢) كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة القلم : ١٧-٣٣]

خطة البحث:

جاء هذا البحث في تكوينه محتوياً على مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة.

أما **المقدمة** : فقد أوردت فيها أهمية الموضوع وإطاره وخطته ومنهجه.

وأما **التمهيد** : فقد تناولت فيه :

- خلاصة قصة أصحاب الجنة.
- مفهوم القصة في القرآن الكريم.

- مناسبة القصّة لما قبلها وما بعدها من الآيات في سورة القلم.
- التناسب بين بداية القصة ونهايتها.

المبحث الأول: الملامح البلاغية في أحداث القصة ومشاهدها، وتناولت فيه المشاهد التالية:

- المشهد الأول: مشهد المؤامرة.
- المشهد الثاني: مشهد التدمير والإهلاك.
- المشهد الثالث: مشهد الانطلاق نحو تنفيذ المؤامرة.
- المشهد الرابع: مشهد رؤية الجنَّة بعد إهلاكها، وتوبتهم بعد ذلك.

المبحث الثاني : الدراسة الأدبية، وفيه تناولت:

- أسلوب القصّ وعرض الأحداث.
- دقّة التصوير.
- الإيقاع النَّغمي.

ثم كانت **الخاتمة**، وفيها أوردت أهم النتائج والتوصيات.

وأما عن مصادر البحث ومراجعه فقد اعتمدت أولاً على النص القرآني للقصة تدبراً وتأملاً؛ ألتحم معه وأعيش في أجوائه، ثم اتكأ البحث بعد ذلك على مصادر ومراجع كثيرة كان أهمها كتب التفسير المختلفة، خاصّة ذات البعد البلاغي، إضافة إلى المؤلفات البلاغية واللغوية القديمة والحديثة، وقد أثبتها في آخر البحث.

منهج البحث :

حرصت في هذا البحث على أن أخرج عن طريقة سرد القاعدة البلاغية النظرية، المبنية على الأمثلة المجتزأة من سياقاتها؛ إلى المنهج التطبيقي التحليلي القائم على التذوق الجمالي للقصة في سياق النص القصصي كاملاً، والكشف عن جماليات

النظم، وأثر ذلك في إبراز مظاهر الإعجاز، من خلال ملاحظة العلاقات الوثيقة بين مكونات النص القصصي، بحيث يبدو النص متناسقاً ومترابطاً في تحقيق هدفه وغايته في التأثير والإقناع.

والله أسأل أن يبارك في هذا الجهد، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، إنه سميع مجيب الدعاء، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * *

التمهيد وفيه :

- خلاصة قصة أصحاب الجنة.
- مفهوم القصّة في القرآن الكريم.
- مناسبة القصّة لما قبلها وما بعدها من الآيات في سورة القلم.
- التناسب بين بداية القصة ونهايتها.

خلاصة قصة أصحاب الجنة :

توسع المفسرون في تفصيل قصة أصحاب الجنَّة، فقيل: إنَّ هذه الجنَّة كانت لرجل صالح من أهل الكتاب ، وقيل: من أهل الحبشة، وقيل: من أهل اليمن، وذلك بعد رفع عيسى عليه السلام بقليل[1].

والجنَّة في الأصل: الأشجار الكثيفة المظلّلة، ثم أطلقت على الحديقة؛ لما فيها من كثرة الأشجار الكثيفة، وهي المراد هنا[2]، وكانت جنَّة عظيمة ومشهورة في عصرها، ويمكن أن يستدل على عظمتها وشهرتها بتعريفها باللام، فوصفها بذلك يشير إلى كونها جنَّة شهيرة عندهم[3]، يعرفها أهل الكتاب والعرب آنذاك، ويمكن أن يكون التعريف هنا للكمال أي الجنة الكاملة في إعدادها وحسنها وكثرة الخيرات بها [4].

---

(١) للتوسع في تفاصيل هذه القصة ينظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ١٨/ ٢٣٩، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير، ٤/ ٤٠٧ ، وزاد المسير لابن الجوزي، ٨/ ٣٢٥ .

(٢) دلالة الأصل اللغوي (جنن) تعود إلى معنى الستر والخفاء، يبدو بوضوح في الجَنَان بالفتح القلب لاستتاره في الصدر، والجنين مختفياً في رحم أمه، والجنون خفاء العقل، والجنُّ سموا بذلك لاختفائهم، ومن ثَّم قيل للأرض المغطاة بالشجر والزروع جنَّة، ثم أطلقت على جنَّة الآخرة، ولوحظ فيها معنى الاجتنان والخفاء، ينظر : لسان العرب، لابن منظور ١٣/ ٩٢، مادة (جنن).

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، ٨/ ١٠٤ .

(٤) ينظر : معارج التفكر ودقائق التدبر، حبنّكة الميداني، ١/ ٢٣٦.

وكان صاحبها الصالح يستبقي من حصاد جنته وثمرها قوت سنته ويتصدق بالباقي على المحتاجين، ويترك للمساكين منها وقت الصِّرَام ما أخطأه المنجل، وألقته الريح، أو بَعُدَ عن البساط الذي يبسط تحت النّخلة، فيجتمع لهم شيء كثير، وكان يعيش على ذلك اليتامى والمساكين والأرامل.

وكان أبناؤه يضيقون بذلك الصنيع، ويحاولون حمله على الشح والبخل بما يملك، فلما مات صارت إلى ولده، وكانوا ثلاثة نفر، فمنعوا الناس خيرها، وبخلوا بحق الله فيها، وأقسموا فيما بينهم أن يتسللوا إلى جنتهم وقت الحصاد في الصباح الباكر، ليجنوا ثمر جنتهم، ولا يبقون منه شيئاً للمساكين والفقراء، وبينما هم نائمون، طاف على جنتهم طائف، اقتلع النخل والأشجار والثمار، وترك الجنّة صريماً جرداء.

فلما أصبحوا، تنادوا ليغدوا إلى جنتهم، وانطلقوا متسللين، وهم يتخافتون: ألاّ يدخلنَّها اليوم عليهم مسكين، فما إن رأوها حصيداً خامدة، حتى ثابوا إلى رشدهم، وأدركوا أنَّهم كانوا ضالين وأقبل بعضهم يلوم بعضاً، وتضرعوا إلى الله أن يغفر لهم ما كان من طغيانهم وظلمهم.

مفهوم القصة في القرآن الكريم:

القصّة مشتقة من القصّ، والمصدر يدل على تتبع الشيء واقتفاء أثره[1]، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ﴾ [القصص: ١١] ، أي تتبعي أخباره وما انتهى إليه أمره.

ويسمى ذكر الأخبار السالفة قصَّاً؛ لأنَّه مأخوذ من قصَّ الأثر، فكأنَّ حكاية أخبار السابقين تشبه تتبع خطاهم وتقصي آثارهم.

وتتبع الخبر والإعلام به هو قصٌّ له، وفي ذلك يقول الحقُّ تبارك وتعالى:

(١) ينظر: تهذيب اللغة، الأزهري، ٨/ ٢٥٤، مادة قصص، ولسان العرب، ٧/ ٧٣.

﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ ﴾ [يوسف: ٣].

والقصة القرآنية : هي حديث من القرآن الكريم ينبئ عن آثار الغابرين، ويحكي أحداثاً ماضية من أجل العِظة والاعتبار. (١)

وهذه الأنباء والأحداث لم تتلبس بشيء من التخيل والتوهم، ولم يدخل عليها شيء غير الواقع، وقد اشتملت على ما لم يشتمل عليه غيرها من القصص من الإثارة والتشويق وحسن العرض والتصوير مع قيامها على الحقائق المطلقة.

وقد أخبر سبحانه أنَّ هذا القصص أحسن القصص؛ « لأنَّ بعض القصص لا يخلو من حسن ترتاح له النفوس، وقصص القرآن أحسن من قصص غيره من جهة حسن نظمه وإعجاز أسلوبه، وما يتضمنه من العبر والحكم؛ فكل قصص في القرآن هو أحسن القصص في بابه، وكل قصة في القرآن هي أحسن من كل ما يقصُّه القاصّ من غير القرآن، وليس المراد أحسن قصص القرآن حتى تكون قصة يوسف – عليه السلام – أحسن من بقية قصص القرآن » (٢). والنفس البشرية تنفعل مع القصة القرآنية، وتتأثر بها وتنساق مع أحداثها، وتشعر فيها بحسن وجمال يهجم على النفس.

وقد جعل كثير من العلماء القصص القرآني وجها من وجوه الإعجاز البياني؛ فالإتيان بقصة من مثل قصص القرآن لم يكن قطُّ في قدرة أحد من المخلوقين، ولذلك وقع فيها الإعجاز كما وقع في سائر موضوعات القرآن الكريم ويستوي في الإعجاز – كما قال العلماء – كثير القرآن وقليله، وطويل سوره وقصارها، وكل ما فيه من أخبار وقصص وأنباء. (٣)

فقصص القرآن أحسن وأكمل في كل شيء لأنَّها صادرة « من العليم الحكيم، فهو يوحي ما يعلم أنَّه أحسن نفعاً للسامعين في أبدع الألفاظ والتراكيب؛ فيحصل

(١) ينظر: البيان القصصي في القرآن، إبراهيم عوضين، ص ١٨.

(٢) التحرير والتنوير، ١٢/ ٢٠٣-٢٠٤.

(٣) ينظر: النكت في إعجاز القرآن، الرماني، ص ١٩٦.

منه غذاء العقل والروح وابتهاج النفس والذوق مما لا تأتي بمثله عقول البشر »[١].

وقد تعددت آراء الباحثين في أنواع القصة القرآنية :

فمنهم من يجعلها نوعين : أولهما القصة التاريخية، ويفرع منها ما يسميه بالقصة التاريخية التمثيلية، وثانيهما القصة التمثيلية[٢]. ومنهم من يجعلها ثلاثة أقسام ويضيف إلى النوعين السابقين القصة الغيبية[٣].

والقصة التمثيلية هي : « كل قصة بدئت بما ينبئ أنَّها مثل مضروب لمشابهة حال المخاطبين لأحداثها، أو كانت غير منسوبة إلى أشخاص معينين، ودلت أحداثها على إمكان وقوعها من بعد أكثر من مرّة، ومن أبرز ما يدخل فيها : قصة صاحب الجنتين في سورة الكهف، وأصحاب الجنَّة في سورة القلم » [٤].

والقصة التمثيلية التي تضرب مثلاً هي قصة تصور الحق والواقع، وأحداثها قد وقعت فعلاً وحوار أشخاصها قد صدر منهم، وكل ما يقصّ فيها من أقوال وأفعال وحركات قد وقعت بلا زيادة ولا نقصان، وهي تلتقي مع القصة التاريخية في اعتمادها على عاملي الزمان والمكان، إلا أنَّها نوع من التمثيل الذي يعد من ضروب البلاغة ومن أفانين البيان.

وتستعار القصة التي وقعت في زمن غابر (مورد المثل) إلى الزمن اللاحق المشابه تماماً للغابر في أحداثه ومواقفه وصراعاته (مضرب المثل)؛ ولذلك أطلقوا عليها في علم البلاغة (استعارة تمثيلية) حذف أحد طرفيها وهو المشبه في الحالة الغابرة، ولسان حالها مؤداه: أنَّ حالتكم أيها المخاطبون في كذا وكذا تشبه حالة من سبقكم في كذا وكذا.[٥]

---

(١) التحرير والتنوير، ١٢/ ٢٠٤.

(٢) ينظر: منهج الفن الإسلامي، محمد قطب، ص ١٥٧، وسيكولوجية القصة في القرآن، التهامي أنقرة، ص١٥٦ وما بعدها.

(٣) ينظر: منهج القصة في القرآن، محمد شديد، ص٣٥، وما بعدها.

(٤) خصائص القصة الإسلامية، مأمون فريز جرار، ص٧٥.

(٥) ينظر: الوحدة الفنية في القصة القرآنية- محمد الدالي، ص١٨٣-١٨٤.

وللتمثيل أثر كبير في إظهار المعاني واضحة جلية وتأكيدها في نفوس المخاطبين ولضرب الأمثال والنظائر شأن جلي في إبراز مكنونات المعاني، ورفع الأستار عن الحقائق، حتى يريك المتخيل في صورة المحقق، والمتوهم في معرض المتيقن والغائب كأنَّه شاهد.(١)

وقد أكدّ عبد القاهر الجرجاني رحمه الله أثر التمثيل في تقوية المعاني وتأكيده فبين أنَّه إذا جاء في أعقاب المعاني أو برزت هي في معرضه ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته « كساها أبَّهة وكسبها منقبة ورفع من أقدارها، وشبَّ من نارها، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها، ودعا القلوب إليها، واستثار لها من أقاصي الأفئدة صبابةً وكَلَفاً، وقَسَر الطباع على أن تعطيها محبَّةً وشغفاً... فإن كان حجاجاً كان برهانه أنور، وسلطانه أقهر، وبيانه أبهر... وإن كان وعظاً، كان أشفى للصدر ، وأدعى إلى الفكر، وأبلغ في التنبيه والزَّجر، وأجدر بأن يُجلِيَ الغياية، ويبصر الغاية، ويبرئ العليل ويشفي الغليل »(٢).

مناسبة القصّة لما قبلها وما بعدها من الآيات في سورة القلم:

المتأمل في قصص القرآن الكريم يلمس انسجاماً تاماً بين القصة وموضوعات السورة التي وردت فيها، فهي تأتي وترد في مقام يلائم تماماً الجو العام للسورة، فهذه القصة وردت في أعقاب قصة (الوليد بن المغيرة) وجاءت متناسقة معها، ووجه المناسبة أنَّه لما قال تعالى عن الوليد بن المغيرة: ﴿ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾ ﴾ [القلم:١٤-١٦]، عقَّب على ذلك بقصة أصحاب الجنّة الذين كانوا معروفين عندهم شائع بينهم ذكرهم، يذكرهم فيها بعاقبة البطر بالنعمة، ومنع الخير والاعتداء على حقوق الآخرين، ويشعرهم أنَّ ما بأيديهم من نعم المال والبنين إنَّما هو ابتلاء لهم كما ابتلى أصحاب الجنَّة.

---

(١) ينظر : الكشاف، الزمخشري، ١/ ١٩٥.

(٢) أسرار البلاغة، ١١٥- ١١٦.

والجو العام لقصة أصحاب الجنة ينسجم مع قصة الوليد بن المغيرة، وهو يمثل نموذجاً لكفار قريش الذين بطروا النّعمة، ولهذا جاء قبل قصة الوليد مباشرة ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ ﴾ [سورة القلم ٨-١٠] ، والتحذير منه على وجه الخصوص، لعظم جرمه ولكثرة ما أعطاه الله من النعم.

ولما كان التركيز في قصة الوليد بن المغيرة على النموذج الفردي الفاسد قدّم في قصة أصحاب الجنّة نموذجاً للجماعة الفاسدة، والنموذجان يلتقيان في الخطوط العامة فكلاهما بطر النعمة ومنع الخير.

ومن هنا نلمس الربط بين القصّتين من خلال التشبيه في قوله: ﴿ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ﴾ فالضمير في ﴿ بَلَوْنَٰهُمْ ﴾ يعود على المكذبين من كفار قريش ومن خصَّ منهم بالذكر وهو الوليد بن المغيرة فالصورتان متشابهتان.

قال ابن عاشور رحمه الله تعليقاً على قوله تعالى : ﴿ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ﴾: « والجملة مستأنفة استئنافاً ابتدائياً دعت إليه مناسبة قوله: ﴿ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ ﴾، فإنَّ الازدهاء والغرور بسعة الرزق المفضيين إلى الاستخفاف بدعوة الحق وإهمال النظر في كنهها ودلائلها قد أوقعا من قديم الزمان أصحابها في بَطَر النعمة وإهمال الشكر، فجرَّ ذلك عليهم شر العواقب، فضرب الله للمشركين مثلاً بحال أصحاب هذه الجنّة لعلهم يستفيقون من غفلتهم وغرورهم ».(١)

وينبغي التنبيه على أن القصة منذ الكلمة الأولى جاءت في بيان الابتلاء والاختبار والجزاء على ذلك كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ﴾ ؛ فهي مسوقة لتأكيد هذا الغرض.

(١) التحرير والتنوير، ٢٩/ ٧٩.

والابتلاء السابق عليها في قصة الوليد بن المغيرة كان بالخير فقط فقد أمدّه الله بالسّعة في المال والولد، وهو لم يشكر هذه النعمة.

أما الابتلاء في قصة أصحاب الجنة فكان بالأمرين معا: الخير والشر فهم قد ابتلوا أولاً بالخير وكثرة النعمة والثمر في هذه الجنة، ولكنهم لَّما لم يؤدوا شكر هذه النعمة، جاءهم الابتلاء بالشر وهو إحراق الجنّة فحينئذ عرفوا خطأهم وتقصيرهم في شكر النعم فتابوا وأنابوا إلى ربهم، وفي ذلك إثارة وتحريك لمشاعر المعاندين المكذبين من قريش؛ أن يقلعوا عن عنادهم وكفرهم، وينيبوا إلى ربهم كما أناب أصحاب الجنّة.

والابتلاء في قصة أصحاب الجنة يتلاقى أيضاً مع الإشارة إلى ابتلاء يونس عليه السلام في آخر السورة ذاتها، فبعد إيراد قصّة أصحاب الجنّة جاء قوله تعالى : ﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ ﴾ [القلم: ٤٨ – ٤٩] ، والابتلاء هنا في قصّة يونس عليه السّلام، بالتضييق فقط، بينما كان في قصة الوليد بن المغيرة بالسّعة فقط، أما في قصّة أصحاب الجنة فكان الابتلاء بالأمرين معاً بالسعة أولاً كما في قصة الوليد، وبالتضييق ثانياً كما في قصة يونس عليه السلام.

التناسب بين بداية القصة ونهايتها:

تمثل البداية والنهاية في القصة القرآنية موضعي الإثارة فيها؛ ولذا كان التركيز عليهما، فهما نسيج القصّة ويمثلان الإطار العام الذي يحيط بالقصة.

وما بين البداية والنهاية تتوالى الأحداث في تتابع موجز ودقة متناهية تشهد بالإعجاز الفني للقصة القرآنية، والمتأمل في هذه القصة يجد التناسب بين بداية القصة ونهايتها.

فبداية القصة تتضمن التشويق والإثارة من خلال التشبيه في قوله: ﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ ﴾ ، ذلك لأن في النفس ميلاً مركوزاً إلى مقارنة الأشياء، وإدراك

حقيقتها من خلال النظر إلى ما يوضحها من مشابهاتها، ومن هنا نلمح في أسلوب التشبيه جانباً نفسياً حيث يقوم على ملاحظة ما بين الأشياء من صفات مشتركة، وهو في الواقع عملية أساسية في التفكير يوضح الفكرة ويظهر المعنى ويجلي المراد في أحسن صورة، وكان لهذا أكبر الأثر في توسيع المدارك وتنمية الملكات.

ثم نجد التشويق يرتفع صداه باستعمال الأداة (إذْ) ، وهي بمثابة بداية نزع الستار والإعلان عن بدء عرض أحداث القصة ومشاهدها، والتي بدأت بمشهد المؤامرة وحرمان المساكين من حقوقهم.

وهذا التشبيه تعريض بالتهديد لأهل مكة، بأن يلحقهم ما لحق أصحاب الجنَّة من البؤس بعد الرخاء والشدة بعد الخصب إن لم يطلبوا مرضاة الله ويشكروا نعمته.

وكما بدأت القصة بتذكير أهل مكة والتعريض بهم ختمت أيضاً بوعظهم وتذكيرهم بالعذاب الذي حلَّ بأهل الجنَّة فقال تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ ﴾ .

وهو ختام يلفت النظر إلى مناط العبرة بما جاء من أمر أصحاب الجنَّة، ويتجه إلى العظة، والإنذار بما يحيق بالطاغين الظالمين من عذاب معجل في الدنيا، ﴿ وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾، والضمير في ﴿ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ لمن ﴿ بَلَوْنَٰهُمْ ﴾ من الطغاة المكذبين الذين نزلت القصة عبرة لهم ومثلاً، وليس عائداً لأصحاب الجنة الذين أقروا بظلمهم وتابوا إلى ربهم، ويؤنس هذا الوجه في فهم سياق القصة، أنّ القرآن الكريم بعد أن تلا ما كان من بغي أصحاب الجنة وعقابهم ثم توبتهم وضراعتهم أمسك عن ذكر مصيرهم، فأمرهم متروك إلى علم الله ورحمته واتجه الخطاب إلى من تصدوا لرسول الله ﷺ بالتكذيب والتحدي ، وارتبط بالآية في أول القصة

﴿ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ﴾ (١).

ومن خلال هذه النهاية نرى تسلسل الأحداث يتوقف عند هذا التوجيه؛ لأنَّه الموقف الأهم والمغزى الأساس من إيراد القصة.

وجمال هذه النهاية يرجع إلى أنّها تقوم على بقاء المشهد الأخير حياً مؤثراً فلم يعد المشهد مجرد حدث مضى، ولكنّه حاضر في واقع كل من بَطَرَ النِّعمة ولم يشكرها، ومن هنا نلحظ الارتباط العضوي واضحاً بين بداية القصة ونهايتها. وأشير هنا إلى أنَّ الإمساك عن ذكر مصير أصحاب الجنَّة، قد تحقق فيه المستوى الإبداعي الذي يترك نهاية القصة مفتوحة للخيال ومسكونة بتساؤلات كثيرة، ليذهب القارئ في تصور ما حصل لهؤلاء النفر بعد ذلك إلى احتمالات كثيرة، ويتساءل: هل أعاد الله جنتهم كما كانت؟ أم أبدلهم خيراً منها؟ وهل كان قولهم: ﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ﴾ إيماناً منهم أم على حدّ ما يكون من المشركين إذا أصابتهم الشدة؟ إلى آخر ما يفكر فيه خيال المتلقي من تصورات وتنبؤات.

---

(١) ينظر: التفسير البياني للقرآن العظيم، عائشة بنت الشاطئ، ص٦٦.

المبحث الأول : الملامح البلاغية في أحداث القصة ومشاهدها

وفيه المشاهد التالية:

- المشهد الأول : مشهد المؤامرة.
- المشهد الثاني : مشهد التدمير والإهلاك.
- المشهد الثالث : مشهد الانطلاق نحو تنفيذ المؤامرة.
- المشهد الرابع : مشهد رؤية الجنَّة بعد إهلاكها وتوبتهم بعد ذلك.

هذا النّصّ القصصي بأحداثه ومشاهده وعناصره الأخرى يعد نموذجاً للقصة في القرآن الكريم، وهي تمثل من ناحية الأداء عرضاً مميزاً وفريداً؛ لما فيها من حيوية في العرض ومفاجآت مشوقة، حتى كأنَّ السامع أو القارئ يشهد القصة حيَّة تقع أحداثها أمام عينيه، وتتوالى المشاهد بين يديه، وليست مجرد أحداث تروى أو قصة تحكى.

وقد عرضت هذه القصّة من خلال مشاهد مثيرة في عرضها وتصويرها وبنائها من خلال مسارات مختلفة، فيها الشخصيات والأحداث والحوار والحالات النفسية والمفاجآت والإثارة والتشويق، وكل ذلك جاء بأسلوب بياني مصور وإيقاع نغمي مؤثر.

وحتى ندرك سياق هذه المشاهد يحسن أن نعرف ما سبقها، وهو قوله تعالى: ﴿ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ﴾ والبلاء والابتلاء : الامتحان يكون بالخير والشر[(١)]، والضمير في ﴿ بَلَوْنَٰهُمْ ﴾ عائد على كفَّار قريش. والبلوى المذكورة هنا بلوى بالخير فإنَّ الله أمدَّ أهل مكة بنعمة الأمن ونعمة الرزق وجعل الرزق، يأتيهم من كل مكان، ويسّر لهم سبل التجارة في الآفاق، ثم أكمل لهم النعمة بإرسال رسولٍ فيهم؛ ليكمل لهم صلاح أحوالهم، ويرشدهم إلى ما فيه خيرهم وهدايتهم، فدعاهم إلى الإيمان بالله وتوحيده والإقرار بعبوديته، ولكنَّهم أعرضوا عن ذلك، وطغوا، ولم

---

(١) ينظر: لسان العرب ، ١٤/ ٨٤، مادة (بلو).

يقدروا النعم التي ساقها الله إليهم، ووجه المشابهة بين حال أهل مكة، وحال أصحاب الجنة هو «الإعراض عن طلب مرضاة الله وعن شكر نعمته »[(١)]، فالتشبيه في هذه الآية تشبيه تمثيلي وهو ما كان وجه الشبه فيه وصفاً مركباً من متعدد [(٢)].

وهذا التشبيه التمثيلي تعريض بالتهديد لأهل مكة « بأن يلحقهم ما لحق أصحاب الجنة من البؤس بعد النّعيم والقحط بعد الخصب، وإن اختلف السبب في نوعه فقد اتحد جنسه، وقد حصل ذلك بعد سنين؛ إذْ أخذهم الله بسبع سنين بعد هجرة النبي ﷺ إلى المدينة » . [(٣)]

والمماثلة بين المشبّه: أهل مكة، والمشبّه به: أصحاب الجنّة، « مماثلة في النوع، وإلا فإنَّ ما توعدوا به من القحط أشد مما أصاب أصحاب الجنَّة وأطول » [(٤)].

وضمير المتكلم في قوله ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ﴾ للإشعار والتنويه بعزة الله وقدرته وعظمته، فهو بمقتضاها يبلو ويمتحن، فتربو المهابة منه. ونلحظ في هذا التشبيه أن المشبّه به (حسياً)، وهو أصحاب الجنّة، وهذا يزيد المعنى وضوحاً وتأكيداً وقوة ؛ وذلك لأنَّ « النفس إلى المحسوس أميل منها إلى المعقول »[(٥)] وهذا التشبيه تمهيد بين يدي القصة يتضمن المغزى الحقيقي الذي سيقت من أجله القصة، وهو بيان عاقبة البطر، والجشع، والإعراض عن طلب مرضاة الله، وشكر نعمته ، فلنحاول أن نراها ونتأملها، حسب المشاهد والأحداث، كما هي في سياقها القرآني.

المشهد الأول : مشهد المؤامرة

وهو المتمثل في قوله تعالى: ﴿إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾ وهو مشهد يصور حال أصحاب الجنّة، وهم يبيّتون مؤامرة حرمان المساكين من حقوقهم التي

---

(١) التحرير والتنوير ، ٢٩/ ٧٩.
(٢) ينظر : الإيضاح ص ٢٤٩ ، والتلخيص ص ٢٧٤ .
(٣) التحرير والتنوير، ٢٩/ ٧٩.
(٤) المصدر السابق، ٢٩/ ٩٠.
(٥) مفتاح العلوم، ص ١٧٨.

اعتادوا الحصول عليها منذ أيّام والدهم الصالح.

لقد صور هذا المشهد اجتماعهم وتآمرهم على أن يحصدوا ثمر جنتهم عند الصباح ويستأثروا به دون المساكين، وأقسموا على ذلك، وعقدوا النية عليه، وباتوا ليلتهم عازمين ومؤكدين لفعلهم الشنيع.

وقد بدأ هذا المشهد معتمداً على أداة أسلوبية هي (**إذْ**) وهي ظرف زمني مرتبط بوقت انعقاد قسمهم ﴿إِذْ أَقْسَمُوا﴾ وهنا إشارة إلى العناية بزمن الخطاب، إضافة إلى ما يبعثه التعبير بـ (إذْ) الظرفية من تهيئة النفس لتلقى ما يعقبها فهي بمثابة إعلان لبدء عرض الأحداث . وقوله : ﴿ لَيَصْرِمُنَّهَا ﴾ مشتق من الصّرم، وهو: القطع، ومنه حصد الزرع وجني الثمر، والصريم: المقطوع والمحصود[(١)].

وظاهر الآية أن خطيئتهم التي أخذوا بها، هي التصميم والعزم على صرم جنتهم والاستئثار بكل ثمرها وحرمان المساكين منها.

وهذا التصميم مستفاد مما في الصّرم من معنى الخزن والانتفاع بالثمر، ولأنّ الصّرم لا يتعارض مع إعطاء شيء من المجذوذ لمن يريدون، جاء قوله ﴿ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴾ محققا هذا التصميم والعزم على الاستيثار بكل ثمر الجنّة وعدم الإنفاق منه، وأجمل ذلك اعتماداً على ما هو معلوم من تفصيل هذه القصة[(٢)]، وبناءً عليه ففي الآية إيجاز قصر[(٣)].

وقوله: ﴿إِذْ أَقْسَمُوا﴾ أي معظمهم، وإلا فالأوسط قال لهم: لا تفعلوا، واصنعوا ما كان يصنع أبوكم من الإحسان، وكأنَّه تعالى طواه لأنه لم يؤثر شيئاً[(٤)]، والقسم هنا يدل على تأكيد عزمهم وإصرارهم على عدم إعطاء الفقراء والمساكين شيئاً،

---

(١) ينظر: لسان العرب، ١٢ / ٣٣٦ مادة (صرم).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير، ٢٩/ ٧٦.

(٣) ينظر: حاشية القونوي على تفسير البيضاوي ١٩/ ٢٣٩.

(٤) نظم الدرر، البقاعي، ٨/ ١٠٦.

يؤكد ذلك التعبير بـ ﴿**أقسموا**﴾ دون (**حلفوا**) ؛ لأن القسم يستعمل في القرآن في الأيمان الصادقة المؤكدة بخلاف (الحلف) فإنه يستخدم في الأيمان الكاذبة، ولذا جاء دائماً مع المنافقين، حتى عندما جاء مع غير المنافقين جاء في مواضع الحنث، كما في قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ﴾ [المائدة : من الآية٨٩] هذا بخلاف القسم فيأتي دائماً في مواضع الصدق والتأكيد، ولذا يكثر فيه مجيء ﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ﴾ [الأنعام: من الآية، ١٠٩] .

والتعبير بالقسم وتأكيد الفعل المضارع باللام ونون التوكيد في قوله: ﴿ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا ﴾ يتلاقى أولاً مع عزمهم وإصرارهم وصدق نيتهم في تأكيد عدم الإعطاء، ويتلاقى ثانياً مع قوله : ﴿ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴾ ، وهو إلى جانب ذلك يصور شدة عزمهم وإصرارهم على تحقيق ما تحالفوا عليه، وكأنهم جزموا أنها في أيديهم وطوع أمرهم وأنّه ليس ثمّ ما يمنعهم منها.

وقوله ﴿مُصْبِحِينَ﴾ أي في أول وقت الصباح كي لا يشعر بهم المساكين فلا يعطونهم منها شيئاً. وقوله : ﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾ قيل لا يثنون عزمهم عن حرمان المساكين وعدم إعطائهم شيئاً منها، وقيل: لا يقولون : إن شاء الله(١).

قال الزمخشري: « فإن قلت: لم سمّى استثناءً وإنما هو شرط ؟ قلت: لأنَّه يؤدي مؤدى الاستثناء من حيث إنَّ معنى قولك : لأخرجنَّ إن شاء الله، ولا أخرج إلا أن يشاء الله واحد » (٢).

وعلى هذا القول ففي الآية (**إدماج**) وهو في اللغة: إدخال الشيء في الشيء واستتاره فيه، واصطلاحاً: أن يضمن المتكلم كلاماً ساقه لمعنىً آخر بشرط أن لا يصرح به ولا يشعر في كلامه بأنَّه مسوق لأجله، وهو من فنون البديع(٣) وبيان

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، ١٨/ ٢١١، والبحر المحيط، ٨/ ٣١٢.
(٢) الكشاف ٤/ ٥٩٤.
(٣) ينظر: أنوار الربيع في أنواع البديع، لابن معصوم، ٦/ ٢٧٩.

ذلك أنَّ وجه تسمية (**إن شاء الله**) استثناءً أنَّ أصل صيغته فيها حرف الاستثناء، وهو (**إلاّ**) فإذا اقتصر أحد على (إن شاء الله) دون حرف الاستثناء أطلق على قوله ذلك استثناءً؛ لأنه على تقدير: **إلا أن يشاء الله**. على أنّه لما كان الشرط يؤول إلى معنى الاستثناء أطلق عليه استثناء نظراً إلى المعنى وإلى مادة اشتقاق الاستثناء(١).

والتعبير عن الماضي بلفظ المضارع ﴿ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴾ والقصة قد مضت خلاف الظاهر، والأصل في الكلام العادي أن يقال: (أقسموا ولم يستثنوا) وإنَّما عدل عن ذلك – والله أعلم – لاستحضار الحال العجيبة التي كانوا عليها وهو البخل الشديد الذي اتصفوا به فمن ترسخه فيهم كأنَّه يتجدد شيئاً فشيئاً.

وهذا المشهد على قصره رصد اجتماع أصحاب الجنَّة، وما تآمروا عليه من حرمان المساكين، وما حصل منهم من مكرٍ وإصرار، واتفاقهم على التنفيذ في الصباح الباكر، بإيجاز بديع يترك للقارئ أن يستحضر بمخيلته ما يمكن أن يقال في مثل أجواء التآمر والمكر والخداع ، فلندعهم في غفلتهم وكيدهم الذي بيّتوه، ولننظر ماذا جرى لهم في هجعة الليل، وهم نائمون.

إنَّ أسلوب القصّ يبرز للمتلقي مفاجأة لم تكن في الحسبان، رسمت خيوطها في خفاء، وحركة خفية حدثت في الظّلام وأصحاب الجنّة غافلون، وهذا ما يصوره المشهد الثاني.

المشهد الثاني: مشهد التدمير والإهلاك

هذا المشهد يحتوي على تدمير جنتهم وما فيها من زروع وثمار، وهو المتمثل في قوله تعالى: ﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴾ .

وهو مشهد جاء في أعقاب مشهد التآمر وكيد هؤلاء الإخوة؛ ليلقي بظلاله الموحية بوجود قوَّة عظيمة تدبّر أمور الكون .

(١) ينظر: التحرير والتنوير ٢٩/ ٧٦.

لقد دمّرت جنتهم بما فيها من زروع وثمار بقوة خفية في جنح الظلام، وهم نائمون فأصبحت تلك الجنَّة محترقة الثمار والزروع، فوقع الحرمان بهم قبل غيرهم وكان جزاؤهم من جنس عملهم.

وتأمل ما توحي به هذه الآيات فالفاء في قول: ﴿فَطَافَ﴾ توحي بسرعة ما عوقبوا به من التدمير والإزالة عقب عزمهم على منع المساكين مباشرة، وعدى الفعل (**طاف**) بحرف (**على**) لتضمنه معنى: التسلط والاستيلاء[1]، وكأن الإحراق قد استولى على جميع أجزائها، وقوله: ﴿طَآئِفٌ﴾ مسند إليه وهو نكرة، وتنكير المسند إليه له أغراض متعددة منها الدلالة على التعظيم والتهويل، بمعنى أن المسند إليه أعظم من أن يعيَّن ويعرّف[2]؛ وإنَّما نُكَّر ﴿ طَآئِفٌ ﴾ هنا تعظيماً لما أصاب جنتهم. قال ابن عاشور: « وتنوين (طائف) للتعظيم أي: أمرٍ عظيم، وقد بينّه بقوله: ﴿ فَأَصۡبَحَتۡ كَٱلصَّرِيمِ ﴾ فهو طائف سوء » [3].

ولم يعين جنس الطائف لظهور أنَّه من جنس ما يصيب الجنّات من الآفات، ولا يتعلق غرض بتعيين نوعه؛ لأنَّ العبرة في الحاصل به[4].

وأصل الطواف: المشي حول الشيء من كل جوانبه يقال : طاف بالشيء طوفاً ومطافاً: استدار حوله وجاءه من نواحيه، وأطاف فلان بالأمر: إذا أحاط به[5]،

---

(١) ينظر: تفسير أبي السعود ، ٩ / ١٥ .

(٢) ينظر: عروس الأفراح ، السبكي ١/ ٣٠٩.

(٣) التحرير والتنوير، ٢٩/ ٨١.

(٤) ينظر: المصدر السابق، ٢٩/ ٨١.

(٥) ينظر: لسان العرب ٩/ ٢٢٥ ، وقال الفرّاء: لا يكون الطائف إلا ليلاً واستدل بالآية ﴿ وَهُمۡ نَآئِمُونَ﴾ ورد عليه بأنه ليس لازماً ومن ذلك قول الله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴾ فلم يتخصص بالليل، وقد تكلّمت به العرب ومن ذلك قول الشاعر:

أطفت به نهاراً غير ليلٍ   وألهى ربَّها طلبُ الرِّجال

ينظر: البحر المحيط ، ٨ / ٣١٢، و ينظر: لسان العرب ٩/ ٢٢٥ .

وأريد به هنا تمثيل حالة الإصابة للشيء كله بحال من يطوف بمكان[١]، والتعبير بـ (طاف) فيه إيحاء إلى إحاطة الهلاك والفناء بجميع جوانب هذه الجنة، بحيث لم يبق فيها جزء صالح، وهذا يتلاقى مع قوله ﴿كَٱلصَّرِيمِ﴾، بما فيه من معنى إحاطة سواد الليل بكل الأجزاء والجوانب، بحيث لا يبقى جزء بعيداً عن سواد الليل كما أن (طاف) فيها معنى تكرار الفعل، وهذا يؤكد على عظم الإصابة وقوتها، وكأنّ إحراق الجنة تكرر حتى لا يبقى فيها جزء من غير إحراق؛ وعلى هذا ففي الآية استعارة تمثيلية؛ لأنَّ قوله:﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا ﴾ بمعنى أرسل عليها ، ولهذا قال القونوي: « التعبير بالطواف عن الإرسال للمبالغة في الإحراق والإحاطة بجميع جوانبه كالطواف وهو استعارة مصرحة تبعية غريبة »[٢].

ووجه الاستعارة أنَّه شبّه الإرسال بالطواف للمبالغة في الإحاطة والشمول ثم حذف المشبّه (الإرسال) وبقي المشبه به وهو (الطواف) على سبيل الاستعارة التصريحية ، وسميت تصريحية لأنَّه صَّرح فيها بذكر المشبه به فقط.

وأمَّا قوله : تبعية فلأنَّ الاستعارة التبعية لا بد أن تجرى على المصدر، وهو الطواف أولاً، ثم يشتق من الطواف الفعل الماضي، وهو(طاف)فالاستعارة في قوله: ﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا ﴾ وأصله (**أرسل عليها**)، وأما كونها غريبة فلأن وجه الشبه الجامع بين الطرفين كان دقيقاً يحتاج في إدراكه إلى تأمل ودقة نظر –والله تعالى أعلم.

ولا يفوت المتأمل أن يلحظ جمال جناس الاشتقاق : وهو ما اجتمع فيه اللفظان في أصل واحد [٣] وذلك بين (**طاف**) و (**طائف**) وجمال هذا الأسلوب يعود إلى ما يضفيه من إحداث الانسجام والتناسب في الكلام من خلال الانسجام الصوتي الناشئ عن المماثلة في الاشتقاق، كما يلحظ أيضا التجانس المقرون بالتقابل بين

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير، ٢٩/ ٨١.

(٢) حاشية القونوي على تفسير البيضاوي، ١٩/ ٢٣٣.

(٣) ينظر : الإيضاح ٢ / ٥٤٢ .

﴿لَيَصْرِمُنَّهَا﴾ و﴿كَٱلصَّرِيمِ﴾ ؛ فقد التقى النّغم الصوتي مع التقابل والتضاد، وهذا من شأنه أن يظهر المعنى ويقره في الوجدان.

وقوله: ﴿مِن رَّبِّكَ﴾ تأكيد على أنَّ هذا العذاب صادر عن الله، وفي ذلك تخويف للمخاطبين من كفَّار قريش، وغرس للعظمة والمهابة في النفوس، وفيه أيضا إيحاء بأن الإهلاك والإحراق وإن كان في ظاهره نقمة إلا أنه في باطنه وحقيقة أمره نعمة جاءت من الرب عزّ وجلّ، وهذا يتلاقى مع توبتهم ورجوعهم إلى الله بعدها.

وقد ألمح البقاعي رحمه الله إلى ذلك بقوله: « ولما كان هذا مقتاً في الصورة أخبر بأنَّه لطف وتربية في المعنى بقوله: ﴿مِن رَّبِّكَ﴾ أي المعروف بالعظمة التي لا تحد، وبالإحسان إليك، فهو جدير بأن يؤدب قومك؛ ليقبلوا منك، كما أدب أصحاب الجنة بما أوجب توبتهم، وهو الحقيق بتربية العباد؛ يعقلوا عنك، ويكونون خليقين بالتجنب للدنيا، والإقبال على المعاني »[1] والجملة الاسمية في قوله: ﴿وَهُمْ نَآئِمُونَ﴾ تدل على الثبات والدوام وهي حالية وفائدتها تصوير حالتهم، وتقييد وقت الطائف الذي حل بجنتهم ، وتدل أيضاً على غفلتهم عما يحدث لجنتهم في ذلك الوقت، وبذلك يكونون قد أخذوا على حين غرة كما كانوا ينوون أن يفعلوا مع المساكين، وبذلك يكون جزاؤهم من جنس مكرهم وتدبيرهم.

والفاء في قوله: ﴿فَأَصْبَحَتْ﴾ حرف عطف وهي تفيد سرعة التعقيب بدون مهلة أو تراخٍ في الزمن مما يصور سرعة العذاب وشدته، وإنما جاء التعبير بـ (فأصبحت) ولم يقل فصارت أو فكانت، وذلك للدلالة على أمرين:

١- وضوح الهلاك والإحراق وظهوره ظهوراً تاماً، بحيث يدركه من له أدنى بصر لهذه الجنّة، إذ الصبح فيه معنى الوضوح والظهور، كما يقال أفصح الصبح لذي عينين.

---

(١) نظم الدرر، ٨/ ١٠٥.

٢-تحقيق معنى المفاجأة بالنسبة لأصحاب الجنة، إذ وقت الصبح هو الذي أرادوا أن يجنوا الثمر فيه، ولا يعطوا الفقراء والمساكين شيئاً كما هو واضح من إقسامهم على جمعها في ذلك الوقت المبكر ﴿إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾ فكأن الوقت الذي أرادوا فيه منع الفقراء والمساكين صار هو وقت المنع لهم أيضاً، وهذا من تمام العدل في المجازاة، وهذا أيضاً فيه تأكيد على شدة المصيبة عليهم، لأنها جاءت في الوقت الذي يظنون فيه أنهم سيأخذون تمام النعمة لهم، فإذا بهم في ذلك الوقت يجدون تمام النقمة عليهم، وهذا أشدّ وأنكى على نفوسهم؛ ولذا كثر لفظ أصبح في مواضع الهلاك والعذاب والنّدم[١].

وإنما اختير لفظ **(الصريم)** ؛ لأن فيه غزارة في المعنى، ويعطي تفسيرات متعددة يحتملها السياق، فقيل: الصريم الليل، والمعنى: أصبحت كالليل؛ لأنّها اسودّت لما أصابها، وقيل الصريم : النّهار، والمعنى : أصبحت كالنّهار، لأنّها ابيضت كالحصيد، ومن ذلك قولهم: صريم الليل والنَّهار، وقيل: إنَّ الصريم الرّماد الأسود، وقيل: أصبحت كالمصرومة أي المقطوعة[٢].

وعلى جميع الأقوال التي فسرت بها الآية نجد أن التشبيه في قوله: ﴿كَٱلصَّرِيمِ﴾ تشبيه تمثيلي حيث شبّه صورة الجنَّة وما آلت إليه من الهلاك بصورة الليل، ووجه الشّبه الاسوداد بالاحتراق[٣] أو تشبيهها بالنَّهار لابيضاضها من فرط يبسها، ووجه الشّبه يبسها وذهابها حتى لم يبق منها شيء[٤] أو تشبيه الجنَّة وهي محترقة بالرملة التي لا تنبت شيئاً، ولا يتوقع منها نفع[٥].

---

(١) كما في قوله تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ **فَأَصْبَحَ** يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا..﴾ ، [الكهف: ٤٢]، وقوله تعالى: ﴿..**فَأَصْبَحُوا۟** لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الأحقاف:٢٥] .

(٢) ينظر : الكشاف ، ٤ / ٥٩٥ ، وتفسير ابن جزي، لمحمد بن جزي الكلبي، ص ٧٨٥ .

(٣) ينظر : حاشية القونوي على البيضاوي ١٩/ ٢٣٤.

(٤) ينظر : تفسير غرائب القرآن ، لنظام الدين النيسابوري ، ٦/ ٣٣٨ .

(٥) ينظر : الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين، لسليمان الشهير بالجمل، ٣٨٦.

والمشّبه به هنا (حسي) وهو (المصروم) وهذا أدعى للبيان والوضوح، وآكد في ترسيخ الصورة ـ كما سبق ـ وذلك ؛ « لأنَّ العلم المستفاد من طرق الحواس أو المركوز فيها من جهة الطبع وعلى حّد الضرورة يفضل المستفاد من جهة النظر والفكر في القوّة والاستحكام وبلوغ الثقة فيه، كما قالوا: ليس الخبر كالمعاينة، ولا الظنُّ كاليقين؛ فلهذا يحصل بهذا العلم هذا الأنس؛ أعني الأنس من جهة الاستحكام والقوَّة » [(١)].

ومما يزيد الصورة حسناً وجمالاً وجود الطباق في الآية من جهتين الأولى: أن يقال: إنَّ من معاني الصريم: **الليل**، وهذا المعنى يتطابق مع (**أصبح**) وعليه ففي الجمع بين (**أصبحت**) و (**الصريم**) محسن الطباق، ومن جهة أخرى أن الجمع بين لفظين أحدهما (**فعل**) وهو (**أصبح**) والآخر (**اسم**) وهو (**الصريم**) يعدّ أحد أقسام الطباق[(٢)]، ولا شك أنَّ مجيء الطباق في الأسلوب « سلساً طيعاً غير متكلف يزيد في إيضاح المعنى وإظهاره وتقويته، وذلك عن طريق المقارنة بين الضدين، وتصوّر أحد الضدين فيه تصوّر للآخر، وعلى هذا فالذِّهن عند ذكر الضد يكون مهّيأً للآخر ومستعداً له، فإذا ورد عليه ثبت وتأكد فيه » [(٣)].

ولا يفوت المتذوق جمال جناس الاشتقاق وعذوبة إيقاعه، وذلك بين قوله: (**ليصرمنّها**) و (**كالصريم**) و(**صارمين**) مما أضفى على الأسلوب تنغيما صوتيا عذباً تطرب له الأذن، وهذه الألفاظ مشتقة من مفردة (**الصرم**) وكل مفردة منها تؤدي وظيفتها البلاغية في تصوير الحالة النفسية لأصحاب الجنة، ففي (**ليصرمنّها**) وما توحيه من دلاله على القطع والقطف الكلي للثّمر، تصوير لحالة تلك النفوس وما

(١) أسرار البلاغة، ص ١٢١، وينظر : أيضا الإيضاح ٣/ ١٠.
(٢) ينظر : عروس الأفراح ، ٤ / ٢٨٩ .
(٣) دراسات منهجية في علم البديع – الشحات أبو ستيت، ص ٥٠ – ٥١.

يعتمل فيها من مشاعر الأنانية والجشع تجاه الآخرين، وهي بإيقاعها الشديد تصّور الشخصية بجانبها المادي الصرف من خلال تنفيذ الفعل بشدة وقسوة كما في مفردة (**صارمين**) .

وهذا المشهد على قصره يصوّر تقابلاً ثنائيا بين حدثين: (**تدبير بشري**) و (**تدبير إلهي**) يظهر من خلال هذا التقابل عجز التدبير البشري وضعفه أمام تدبير الله وقوته، فلندع الجنّة وما ألمّ بها مؤقتاً لننظر ماذا يصنع المبيّتون الماكرون في صباحهم الباكر؟!

المشهد الثالث: مشهد الانطلاق نحو تنفيذ المؤامرة

هذا المشهد يتضمن تجمع أصحاب الجنّة صباحاً وسيرهم إلى بستانهم لتنفيذ المؤامرة. وهو المشهد المتمثل في قوله تعالى: ﴿ فَتَنَادَوْاْ مُصْبِحِينَ أَنِ ٱغْدُواْ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ فَٱنطَلَقُواْ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ وَغَدَوْاْ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴾ .

فهذه الآيات تصوّر هؤلاء القوم، وهم يستيقظون مبكرين وينادي بعضهم بعضاً ؛ لتنفيذ ما اعتزموا عليه.

ويبدأ هذا المشهد بقوله تعالى: ﴿ فَتَنَادَوْاْ ﴾ والفاء هنا عاطفة والجملة معطوفة على جملة (**أقسموا**).

قال البقاعي رحمه الله: « ولمّا كان لقوة عزمهم على ما أقسموا عليه كأنّهم كانوا على ميعاد سبَّب عنه قوله: ﴿ فَتَنَادَوْاْ ﴾ أي كانوا كأنّهم نادى كلٌّ منهم الآخر »[(١)]، والفعل ﴿ فَتَنَادَوْاْ ﴾ يصّور اشتراكهم جميعاً في حبكة المؤامرة وشدة عزمهم، كما يرسم صورة حيَّه شاخصة لعدد من الناس كلهم ينادي بعضهم بعضاً، وجملة ﴿ أَنِ ٱغْدُواْ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ ﴾ تفسير لقوله: ﴿ فَتَنَادَوْاْ ﴾ و﴿ ٱغْدُواْ ﴾ فعل أمر، والماضي منه (**غدا**) بمعنى ذهب إلى ما يريد من عمل وقت الغدوة، وهو الوقت في أول النَّهار ما بين الفجر وطلوع الشمس.

---

(١) نظم الدرر، ٨/ ١٠٥.

وقوله ﴿ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ ﴾ بمعنى (**إلى حرثكم**). واستعير لفظ (على)؛ لما فيه من معنى التمكن والسيطرة كأنّه قيل: اغدوا تكونوا على حرثكم أي مستقرين عليه[(١)]، وفي الحرف (**على**) – بدلالته على الاستعلاء – استعارة تبعية فقد استعير للاستيلاء والتمكن لمن أقبل على شيء يملكه، وقد تمكن منه وثبت عليه؛ وذلك بجامع السيطرة والتمكن والاستيلاء في كلٍ، ودُلَّ على هذه الاستعارة بالحرف الدال على الاستيلاء والتمكن.

وتكمن بلاغة هذه الاستعارة في الدلالة على تصوير شعورهم بالتّمكن من حرثهم والسيطرة عليه، كمن يركب على جواد يتمكن منه فيسوقه ويركضه حيث أراد؛ وذلك إيذان منهم بمزيد قوتهم وشدة تمكنهم مما في أيديهم من الحرث.

وقد أشار الزمخشري إلى هذا الملمح البلاغي بقوله: « فإن قلت: هلاَّ قيل: اغدوا إلى حرثكم، وما معنى (**على**)؟ قلت: لما كان الغدو إليه ليصرموه ويقطعوه : كان غدواً عليه كما تقول : غدا عليهم العدو » [(٢)].

وعلى هذا تكون تعدية الفعل بـ (**على**) لتشبيه الغدو للصرام بغدو العدو بجامع الاستيلاء والسيطرة ، ويمكن أن يحمل المعنى على التضمين النحوي فتكون تعديه الغدو بـ (على) لتضمنه معنى الإقبال كقولهم: يغدى عليه بالجفنة ويراح[(٣)] .

وإلى هذين الرأيين أشار البيضاوي بقوله: «وتعديه الفعل بـ (على) إمَّا لتضمنه معنى الإقبال أو لتشبيه الغدو للصرام بغدو العدو المتضمن لمعنى الاستيلاء[(٤)].

وتلمس في إضافة الحرث إلى ضميرهم في قولهم: (حرثكم)، دون أن يقولوا الحرث أو البستان ما يوحي بشعورهم أنّهم أصحابه المتمكنون منه، والمتصرفون

---

(١) التحرير والتنوير، ٢٩/ ٨٣.

(٢) الكشاف ٤/ ٥٩٥.

(٣) ينظر: الكشاف ٤/ ٥٩٥، والبحر المديد، ٨/ ١٦١ وتفسير أبي السعود، ٩/ ١٥.

(٤) تفسير البيضاوي ٢/ ٥١٦.

فيه، وهذا في ظنّهم يخوّل لهم أن يفعلوا ما يشاءون فيه من الإعطاء أو المنع، فهم المتمكنون منه لا ينازعون فيه، وهذا يتلاقى مع التعبير بالحرف " على ".

وقولهم: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ﴾ : أي عازمين على قطع ثمار جنتكم، ومنع المساكين من أخذ شيء منها. وتقييد الفعل هنا بـ (**إنْ**) الشرطية في كلامهم على خلاف الأصل، والأصل في (**إنْ**) ألاّ يكون الشرط فيها مقطوعاً بوقوعه كما تقول لصاحبك: « إن تكرمني أكرمك وأنت لا تقطع بأنَّه يكرمك » [١].

ولكنَّها استعملت هنا في مقام القطع بوقوع الشرط فهؤلاء القوم عزموا على فعلتهم، فكان مقتضى الظاهر أن يكون التعبير **بإذا**[٢]، ولكن عبَّر بـ (**إنْ**) على خلاف الظاهر لنكتة بلاغية وهي الإثارة وإلهاب من أبطأ منهم فلم يبادر وينهض للمشاركة في الصّرم .

وإلى ذلك أشار الطاهر بن عاشور رحمه الله بقوله: « وليس قوله: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ﴾ بشرط تعليق، ولكنّه مستعمل في الاستبطاء، فكأنهّم لإبطاء بعضهم في الغدّو قد عدل عن الجذاذ ذلك اليوم. ومنه قول عبد الله بن عمر للحجاج عند زوال عرفة يحرّضه على التهجير بالرواح إلى الموقف: « الرواح إن كنت تريد السنّة، ونظير ذلك كثير في الكلام »[٣]، ويمكن أن يكون التعبير بـ (إن) هنا فيه دلالة عما يتردد في داخلهم من هاجس الخوف من عدم إتمام ما عزموا عليه، فهم وإن كانوا قد عزموا، وأكدوا قطع الثمر مبكراً قبل حضور المساكين، إلا أن نفوسهم مازالت متخوفة من عدم إتمام هذا الأمر على الوجه الأكمل خاصّة بعد معارضة أوسطهم كما سيأتي.

---

(١) ينظر: الإيضاح ١/ ١٧٨.

(٢) الأصل في (إذا) أن يكون الشرط فيها مقطوعاً بوقوعه كما تقول: « إذا زالت الشمس آتيك ». ينظر: الإيضاح ١/ ١٧٨.

(٣) التحرير والتنوير ٢٩/ ٨٣.

ثم يمضي السياق مصوراً حالهم بقوله: ﴿ فَٱنطَلَقُواْ وَهُمۡ يَتَخَٰفَتُونَ ۝٢٣ أَن لَّا يَدۡخُلَنَّهَا ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكُم مِّسۡكِينٞ ﴾فالفاء في قوله ﴿ فَٱنطَلَقُواْ ﴾ حرف عطف والجملة معطوفة على جملة ﴿ فَتَنَادَوۡاْ ﴾ وللعطف بالفاء خاصيّة تدل على سرعة انطلاقهم دون مهلة أو تراخٍ، وفي اصطفاء الفعل (**انطلقوا**) دون غيره من مثل (**ذهبوا**) أو(**ساروا**) دلالة تصويرية خاصة فهو يصور اندفاعهم الشديد.

ويأتي وصفهم بقوله :﴿ فَٱنطَلَقُواْ وَهُمۡ يَتَخَٰفَتُونَ ﴾موحياً بالحركة الخفية فهم يتبادلون الحديث في خفوت وهمس حتى لا يسمع كلامهم أحد وكأنَّهم يأتون منكراً أو يقدمون على فاحشة مبينة والتعبير بالجملة الفعلية ﴿يَتَخَٰفَتُونَ ﴾ يفيد تجدد تخافتهم شيئاً فشيئاً ولا يكون ذلك المعنى لو عبّر بالجملة الاسمية وفي التعبير بالتخافت تصوير لاستحضار حالتهم العجيبة من بخلهم على الفقراء والمساكين فهم إنّما تسارّوا بحديثهم حتى لا يشعر بهم أحد من الفقراء والمساكين والجملة حالية، ولا يخفى ما في تصديرها بقوله (**هم**) من التبكيت والتوبيخ والتهكم بهم، حيث أكدّ تقديم الضمير (**هم**) وتصدرها الجملة الحالية وقوع التخافت وإصرارهم على أن تكون تلك حالهم .

ثم جاءت الآية التالية مفسرة لهذا التخافت وهو قولهم:﴿أَن لَّا يَدۡخُلَنَّهَا ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكُم مِّسۡكِينٞ﴾ فهذه الآية تفسير للفعل ﴿**يتخافتون**﴾ الذي فيه معنى القول أي ساروا يتخافتون يقول بعضهم لبعض: لا يدخلنّها اليوم عليكم مسكين وتوكيد الفعل المضارع بالنون الثقيلة لزيادة تحقيق ما تحالفوا عليه من الإصرار وحرمان المساكين والفقراء، ونلحظ في أسلوب هذه الآية معنى **كنائياً** مختفياً وراء المعنى الأصلي، يحتاج في إدراكه إلى تأمل ومعاودة نظر وذلك في قوله ﴿أَن لَّا يَدۡخُلَنَّهَا ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكُم مِّسۡكِينٞ ﴾ ، فأصل الكلام أن لا تدخلوها مسكيناً، ولكنّهم أوقعوا النهي على دخول المسكين، وأسند إلى ﴿**مسكين**﴾ فعل **النهي** عن الدخول والمراد نهي بعضهم بعضاً

عن دخول المسكين إلى جنتهم والمعنى : لا يترك أحدُ مسكيناً يدخلها. وهذا من (**قبيل الكناية**) وهو كثير في استعمال النهي كقولهم: لا أعرفنّك تفعل كذا(١).

ويبدو لي والله أعلم أن ذلك أدعى إلى توكيد المعنى الذي استقرّ في نفوسهم وهو النهي عن تمكينهم من الدخول « والنهي عن الدخول للمساكين نهي لهم عن تمكينهم منه، أي: لا تمكنوه من الدخول حتى يدخل كقولك: لا أرينَّك ههنا »(٢)، وفائدة ذلك « المبالغة في نهي أنفسهم أن لا يدعوه يدخل عليهم »(٣) وأن يبذلوا كلّ وسائل المنع والإحالة دون دخوله، حتى لو وصل ذلك إلى حدّ نهيه ومنعه من الدخول، وتحديد ﴿مسكين﴾ بالإفراد للمبالغة في المنع وهو نهي للمساكين عموماً وقيدوا منع المساكين بالظرف ﴿**اليوم**﴾ لأنَّه يوم الحصاد والجذاذ .

ثم جاء ختام هذا المشهد بقوله تعالى ﴿ وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴾ و﴿ **غدوا** ﴾ أي ساروا إليها غدوة في أول النهار، وفي أثناء ما سبق تركيز واضح على المكون الزمني في القصة، فالقصّة بدأت بـ (**إذ**) الظرفية كما سبق ثم جاءت الإشارة بعد ذلك إلى ﴿ **ليصرمنّها مصبحين** ﴾ و﴿ **وهم نائمون** ﴾ و﴿ **فتنادوا مصبحين** ﴾ و﴿**اليوم**﴾ و﴿ **أن اغدوا** ﴾ و﴿ **غدوا** ﴾ وجميعها ألفاظ تؤكد العناية بزمن الحدث.

وسيأتي الحديث عن المكون الزمني في بناء هذه القصة في الدراسة الأدبية إن شاء الله تعالى (٤).

وختام هذا المشهد يصّور رصد الحدث ونموه، بكل دقائقه وتفصيلاته ،وذلك في قوله :﴿ وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴾ و(**الحرد**) يأتي في اللغة على عدة معان منها: (**المنع**) يقال: حردت السّنة إذا منعت خيرها، وحاردت الناقة إذا منعت دَرَّها.

---

(١) التحرير والتنوير ٢٩/ ٨٤.

(٢) ينظر: الكشاف ، ٤/ ٥٩٥.

(٣) نظم الدرر ، ٨/ ١٠٦.

(٤) ينظر : ص ٢٦٢، من البحث.

و(الحرد) بمعنى: (**القصد والسرعة**) يقال: حرد يحرد الشيء إذا قصده، والقاصد إلى الشيء بسرعة حارد.

ويأتي الحرد: بمعنى (**الانفراد**)، يقال حرد يحرد حرداً وحروداً إذا تنحى عن قومه ونزل منفرداً عنهم ولم يخالطهم(١).

وقد فسرت الآية الكريمة بجميع ما ذكر، وفي إيثار لفظ (**حرد**) دون غيره نكتة من نكت الإعجاز المتعلق بشرف اللفظ ورشاقته، وذلك من حيث المعنى من جهة ومن حيث تعلق الجار والمجرور بها يناسب كل معنى من معانيه من جهة أخرى.

أمَّا من حيث المعنى، فإن حمل على المنع والحرمان فهو ملائم لفعلهم وعزمهم أن يمنعوا المساكين من حقهم الذي اعتادوا عليه مصرين على ذلك بقولهم ﴿أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ﴾.

وإن حمل على معنى القصد والسرعة فهو ملائم لفعلهم حيث ساروا في الغداة منطلقين بسرعة وقصد نحو جنتهم، وفائدة ذكره هنا مع أنه مدلول عليه فيما سبق بقوله ﴿فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ﴾ تأكيد « أنَّ قصدهم استمر مصاحباً لهم لم يتحّول ولم يتغير حتى وصلوا إلى جنتهم »(٢).

وأمّا حمله على معنى الانفراد والانعزال فهو وصف دلّ عليه خروجهم مبكرين يتسارّون في حديثهم ومنعزلين لم يشعر بهم أحد.

وأمَّا شرف هذا اللفظ من حيث تعلق الجار والمجرور بها يناسب كل معنى من معانيه فهذا سرٌّ آخر من أسرار إعجازه.

فإن حمل على معنى المنع أفاد تعليق الجار والمجرور (**على حرد**) بـ (قادرين) تخصيصاً أي قادرين على المنع لا غير، أي منع الخير أو منع الفقراء من ثمار جنتهم

(١) ينظر : تهذيب اللغة ، مادة حرد ، ولسان العرب ، ٣/ ١٤٥، مادة (حرد).
(٢) معارج التفكر ودقائق التدبر ١/ ٢٤٠.

غير قادرين على النفع[١].

وإن حمل الحرد على القصد والسرعة كان (على حرد) متعلقاً بـ (غدوا) مبيناً لنوع الغُدو أي غدوا غُدُوَّ سرعة واعتناء، والمعنى غدوا بسرعة ونشاط، ويكون (قادرين) حالاً من ضمير (غدوا) أي مقدرين أنهم قادرون على تحقيق ما أرادوا[٢].

ونلمس في التعبير بقوله (قادرين) دون أن يقال: (غدوا حاردين) نوعاً من التهكم بهم والسخرية بحالهم، وهذا ما أشار إليه النيسابوري بقوله: « قوله (قادرين) يكون من باب عكس الكلام للتهكم أي قادرين على ما عزموا عليه من الصرام وحرمان المساكين » [٣].

ووجه التهكم أنَّ شأن فعل القدرة أن يذكر في الأفعال التي يشق على الناس إتيانها، أمَّا قوله هنا (قادرين) فهو من باب قولهم: فلان لا يملك إلا الحرمان أو لا يقدر إلا على الخيبة[٤].

المشهد الرابع : مشهد رؤية الجنَّة بعد إهلاكها وتوبتهم بعد ذلك

هذا آخر مشاهد هذه القصة، وهو المشهد الذي يتضمن رؤيتهم لجنتهم، وقد أحرقت، ودمرت بالكامل، ثم توبتهم بعد ذلك مباشرة، وهو المتمثل في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾، وهو أطول المشاهد وأكثرها تفصيلاً.

وقد بدأ هذا المشهد بقوله: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهَا ﴾ و(لَمَّا) حرف يفيد اقتران جوابها بشرطها

(١) ينظر : التحرير والتنوير ٢٩/ ٧٩.
(٢) ينظر : المصدر السابق ٢٩/ ٧٩.
(٣) تفسير غرائب القرآن، ٦/ ٣٣٨.
(٤) ينظر : التحرير والتنوير ٢٩/ ٧٩.

على الفور، أي لَمَّا شاهدوا جنتهم، وقد أحرقت وتلفت، قالوا على الفور والبديهة مباشرة: ﴿إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴾ ، وفي هذا الأسلوب تعريض للمشركين من أهل مكة بأن يكون حالهم في تدارك أمرهم وسرعة إنابتهم كحال أصحاب هذه الجنة إذْ بادروا بالندم والاعتراف بالخطأ.

والضلال والضلالة : ضد الهدى والرشاد، يقال: أضللت فلاناً إذا وجهته للضلال والإفساد، ومنه التيه عن الشيء يقال: ضللت الطريق إذا لم تهتد إليه، ومنه ضللت الدار إذا لم تعرف موضعها(١) .

والضّلال الذي نسبوا أنفسهم إليه في قولهم ﴿إِنَّا لَضَآلُّونَ﴾ يحتمل أن يكون ضلالاً معنوياً أي كانوا غير مهتدين ولا راشدين، وذلك على سبيل المجاز، وهو كناية عن كون ما أصابهم بسبب ضلالهم عن طريق الشكر ومنعهم حق الله تعالى في جنتهم، ويحتمل أن يكون الضلال حقيقياً والمعنى: أي قد ضللنا الطريق، وليست هذه جنتنا لَمَّا رأوها محترقة(٢)، فكأنهم توهموا أنّهم ضلوا الطريق إلى جنّة أخرى؛ لأنَّ هذه لا تشبه جنتهم التي يعرفونها.

وأكدوا ضلالهم بإنَّ والجملة الاسمية واللام المزحلقة، وذلك «مبالغة في الاعتراف بذنبهم لربهم وإشعارُ بأنَّهم لا يشكون في وقوعهم بالإثم الذي استحقوا عليه العذاب » (٣)، أو مبالغة في تأكيد ضلالهم عن جنتهم، وأن هذه ليست جنتهم وإنما هي جنة أخرى لا يعرفونها، وتأكيدهم الكلام بهذه المؤكدات بسبب تنزيل أنفسهم منزلة من يشك في أنّهم ضالون طريق الخير لقرب عهدهم. بالغفلة عن ضلالهم « أو تنزيل أنفسهم منزلة من يشك في أنَّهم تائهون عن طريق جنتهم، وفي ذلك إيذان بالتحسر والندم » (٤).

(١) ينظر: لسان العرب، ١١/ ٣٩٠.
(٢) ينظر: إعراب القرآن للنحاس٥/ ١٢. ونظم الدرر، ٨/ ١٠٦، والتحرير والتنوير،٢٩/ ٨٠-٨١.
(٣) معارج التفكر ودقائق التدبر،١/ ٢٤٢.
(٤) التحرير والتنوير، ٢٩/ ٨٠.

وبل: حرف إضراب عمّا قبلها وإثبات لما بعدها، وهي حرف ابتداء إذا تلتها جملة كما في هذه الآية(١).

وعلى تفسير الضلال بالزيغ عن الهدى والرشاد يكون الإضراب في قولهم ﴿ بَلۡ نَحۡنُ مَحۡرُومُونَ ﴾ إضراباً انتقالياً إلى ما هو أهم وأولى بالنسبة لحالهم، فكأنهم قالوا: لسنا مجرد ضالين بل نحن محرومون ومعاقبون بسبب معصيتنا(٢).

وقد اختاروا لفظ الحرمان دون غيره؛ لأنهم أُخِذوا من باب نيتهم في حرمان المساكين والتعبير بالجملة الإسمية ﴿ نَحۡنُ مَحۡرُومُونَ ﴾ لتأكيد ثبات حرمانهم، وأنهم اختصوا بالحرمان الأعظم والأشمل؛ إذ ليس بشيء أمام حرمان المساكين والفقراء، والتعبير بلفظ الحرمان أيضاً يتوافق مع ما امتلأت به نفوسهم من مشاعر الحرمان المتعددة والمتزاحمة؛ « لقد تزاحمت لديهم معاني الحرمان، معنى العقوبة بالحرمان، ومعنى المنع من العطاء، ومعنى كونهم محرومين فقراء غير مرزوقين، فجاء التعبير عنها جميعاً بقوله ﴿ بَلۡ نَحۡنُ مَحۡرُومُونَ ﴾ وهذا من بديع الإيجاز في القرآن »(٣).

والكلام يفيد ذلك بطريق تقديم المسند إليه بأن أوتي به ضميراً بارزاً مع أنَّ مقتضى الظاهر أن يكون ضميراً مستتراً في اسم المفعول، فلما أبرز الضمير وقدّم كان ذلك مؤذناً بالاختصاص بهذه المعاني المتزاحمة من مشاعر الحرمان، التي تدفقت إلى نفوسهم أول ما رأوا جنتهم.

وإذا كان المقصود بالضلال ضلال الطريق إلى جنتهم يكون الإضراب في قوله: ﴿ بَلۡ نَحۡنُ مَحۡرُومُونَ ﴾ إبطالياً، أي أبطلوا أن يكونوا ضلوا طريق جنتهم، وأثبتوا أنهم

---

(١) ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني، للمرادي، ص٢٣٥.

(٢) التحرير والتنوير ٢٩/ ٨١١، والإضراب الانتقالي هو: أن يترك ما قبل (بل) على ما هو عليه فلا ينقض ولا يبطل، بل ينتقل إلى غرض آخر أهم وأولى، بنظر: الجنى الداني، ص ٢٣٥، ومغني اللبيب، لابن هشام، ١٥١ـ١٥٢.

(٣) معارج التفكر ودقائق التدبر ١/ ٢٤٢.

محرومون من خيرات جنتهم[(١)].

ثم يصور هذا المشهد حواراً بين أصحاب الجنة أنفسهم في قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾ والمراد بـ﴿ أَوْسَطُهُمْ ﴾ أي أعقلهم وأفضلهم وأقربهم إلى الخير والعدل.

والوسط اسم لما بين طرفي الشيء، وأوسط الشيء أفضله وأحسنه، ولما كان وسط الشيء أحسنه وأفضله جاز أن يقع صفة كما في قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة :١٤٣]، أي عدلاً، واستعمل في معنى العدل لملاحظة أنه توازن بين طرفين متباعدين[(٢)].

والاستفهام في قوله :﴿ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ ﴾ إنكاري يحمل معنى التوبيخ والتقرير، فهو قد وعظهم وحذرهم من حرمان المساكين حقهم، وقال لهم: لا تمنعوا حق المساكين. وحذف مقول القول لدلالة السياق عليه، وربما نلمس أن "الأوسط" حذف مقول القول هنا؛ لأنَّه لم يؤثر شيئاً فيما سبق، وطواه سريعاً؛ لأنه شاركهم واستجاب لرغبتهم، وعزم على ما عزموا عليه، فكان من الأنسب أن ينتقل سريعاً إلى حثهم على التسبيح والتوبة، وجاءت جملة ﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ ﴾ بدون عطف؛ لأنه قول في سياق المحاورة جواباً عن قولهم ﴿ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴾.

و(لولا) حرف يفيد الحض والحث بمعنى (هلاَّ) والمعنى: لقد قلت لكم : هلاّ تذكرون الله وتتوبون من خبث نيتكم، وقد كان قال لهم حين عزموا على منع الفقراء حقَّهم: عظموا الله وتوبوا إليه عن هذا العزم السيء قبل حلول غضب الله عليكم وسخطه فعصوه، وأصروا على رأيهم، والمراد بـ (تسبحون) أي: تقولون

(١) التحرير والتنوير ٢٩/ ٨١ ، والإضراب الإبطالي هو: أن يبطل ما بعد (بل) ما قبلها، ينظر: الجنى الداني ، ص ٢٣٥، ومغني اللبيب، لابن هشام ، ١٥١-١٥٢.
(٢) ينظر : معاني الوسط في معجم لسان العرب، ٧/ ٤٢٨.

سبحان الله، وتشكرونه على ما أعطاكم، وتنزهون الله عن أن يعصى في ما أمر، وتنزيهه عن أن يظن أنَّه حرمكم دون أن ترتكبوا ذنباً.

فكان جوابهم ﴿ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَـٰلِمِينَ ﴾ وهو جواب متضمن إقرارهم بأنَّ أوسطهم قد وعظهم فعصوه، وأنَّهم عادوا إلى رأيه نادمين معترفين.

و(سبحـان) مصدر – ملازم النصب – من التسبيح وقيل : اسم مصدر من سبَّح المضاعف(١).

وفائدة التسبيح هنا الاعتذار عَمَّا حصل من خطئهم وسوء سلوكهم، والمعنى: ننزهك تنزيها عظيماً، وفي التسبيح؛ التنزيه البليغ من حيث الاشتقاق من السبح ومن جهة النقل إلى التفعيل، ومن جهة العدول إلى المصدر مالا يخفى، والمراد: أنزهك تنزيهاً حقيقياً (٢).

وتأكيد جملة ﴿إِنَّا كُنَّا ظَـٰلِمِينَ ﴾ بـ (إنَّ) واسم الفاعل (ظالم) الذي يفيد الثبات والرسوخ؛ لتحقيق الإقرار بالذنب وإظهار الندم والتوبة، وفي الجملة إيجاز حذف من خلال حذف مفعول ظالمين، وذلك لإفادة العموم وشموله لغير محدد، فلم يذكر مفعولاً به معيناً حتى لا ينحصر الحكم فيه، فشمل بذلك الحذف ظلم أنفسهم وظلم المساكين بمنعهم حقهم الذي أوجبه الله لهم.

ثم انتقلوا إلى لوم بعضهم بعضاً كما قال تعالى: ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَـٰوَمُونَ ﴾ وذلك؛ لأنَّ منهم من ابتكر فكرة منع المساكين حقهم، ومنهم من زيَّن ذلك، ومنهم من تحمس لذلك، ومنهم من سكت وهو راضٍ، ولاشتراكهم جميعاً في هذا الجرم أصبح يلوم بعضهم بعضاً؛ يقول هذا لهذا: أنت أشرت علينا بهذا الرأي، ويقول ذاك لهذا: أنت خوفتنا الفقر، ويقول الآخر لغيره: أنت زّينت لنا هذا المنكر. واللّوم والّلائمة: العذل، وتلاوم الرجلان: لاَمَ كل واحدٍ منهما صاحبه، والملاومة: أن

(١) الزاهر في معاني كلمات الناس، ١/ ٤٩.
(٢) تفسير أبي السعود، ٣/ ١٠١.

تلوم رجلاً ويلومك، وتلاوموا: لام بعضهم بعضاً، وهي مفاعلة من: لامه يلومه لوماً إذا عذله وعنَّفه[1].

وإقبال بعضهم على بعض يتلاومون يصور حالة تشبه المهاجمة والتقريع، وصيغة التلاوم (مفاعلة) مع حذف متعلقه، يخيل في ذهن السامع صوراً من التقاذف والتراشق الواقع بينهم بهذا الإجمال البالغ غاية الإيجاز ودقته.

والإقبال: حقيقته إقبالك على الشخص بوجهك كأنك لا تريد غيره، مشتق من القُبُل: وهو الوجه، واستقبل الشيء وقابله: حاذاه بوجهه وهو ضد الإدبار[2]، وفائدة ذكر الإقبال في قوله : ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾: تصوير حالة التلاوم الحاصل منهم، وتمثيل هيئة وقوعه بينهم، وأنَّ هذا التلاوم كان على هذا الوجه من المواجهة والمقابلة، وهذا أدعى في تقريع وتوبيخ أنفسهم[3].

ثم نادوا على أنفسهم بالويل و ﴿قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ﴾ ، وهذه الجملة يحتمل أن تكون تفسيراً لجملة (يتلاومون) ؛ أي يلوم بعضهم بعضاً بهذا الكلام على سبيل التقريع والتوبيخ، ويحتمل أن تكون جواب بعضهم بعضا عندما وقع منهم التلاوم، فكما أجمعوا على لوم بعضهم بعضاً أجمعوا كذلك على إجابة بعضهم بعضاً بهذا الكلام، وويل كلمة مثل ويحْ، إلا أنَّها كلمة شدة وعذاب، يقال: ويله وويلي وفي النّدبة ويلاه!

والويل: حلول الشر والويلة الفضيحة والبلية، وقيل هو التوجع[4]وهذه اللفظة يدعو بها كل من وقع في شدة وبلوى.

والنداء في هذه الآية مستعمل في غير معناه الأصلي، وهو هنا في معنى التحسر

---

(١) لسان العرب ، ١٢/ ٥٥٧، مادة (لوم).

(٢) المصدر السابق، ١١/ ٥٣٧، مادة (قبل).

(٣) ينظر : التحرير والتنوير، ٢٩/ ٨٢.

(٤) ينظر: لسان العرب، ١١/ ٧٢٠، مادة (ويل).

فنلاحظ في قولهم (يا ويلنا) أنَّهم نادوا الهلاك؛ للتحسر وفرط الندامة، أي: تعال فإنَّ هذا أوانك؛ إنّا كنَّا طاغين من جهة العمل، فمن كان حاله كذلك ينبغي له أن ينادي الهلاك تأسفاً على ما فات[(١)]، وفي الآية تشبيه الويل بالعاقل الذي يسمع ويدرك ويقبل على المنادي، ثم حذف المشبه به (العاقل)، ورمز له بشيء من لوازمه وهو النداء، وذلك على سبيل الاستعارة المكنية، والاستعارة هنا تفيد المبالغة في الندم والحسرة [(٢)]، إذ النداء فيه تنبيه لأنفسهم وللمخاطبين بتذكر أسباب الويل، لأن الويل لا يطلب ولا يتأتى مناداته، وإنما المعنى المبالغة في ذلك حتى كأنهم ذهلوا فنادوا ما لا يعقل، كما أنه يوحي بأنه ليس بحضرتهم شيء يمكن أن ينادى إلا الويل، وكأنّ الويل قد أحاط بكل المكان، وغطى على جميع ما عداه، كما أن فيه تنبيهاً للمخاطب وإيقاظا له؛ ليتمكن في ذهنه أن هذه الحالة تقتضي الويل والندم والمبالغة في الدلالة على أن هذا وقت الندم.

وإضافة الويل إلى ضمير المتكلمين (ويلنا) للدلالة على اختصاصهم بهذا الويل وهذا الندم، وكأنّ غيرهم غير داخل في هذا النّدم وهذا الويل، وهذا يتلاقى مع خصوصيتهم في إقدامهم على منع المساكين، فكما أنّهم وحدهم الذين أقدموا على فعل هذا، فهم وحدهم أيضاً المخصوصون بالويل والندم والحسرة، ولذا كثرت في الآية ضمائر التكلم الخاصة بهم (ويلنا، إنّا ، كنّا ، نحن).

وتأكيد جملة ﴿ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴾ بـ (إنَّ) واسم الفاعل الذي يدل على الثبات والرسوخ اعتراف منهم بارتكاب ظلم عظيم، ثم رجعوا إلى الرجاء والطمع في رحمة الله فقالوا ﴿ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴾.

---

(١) حاشية القونوي على تفسير البيضاوي ١٩/ ٢٣٩.

(٢) ومثل ذلك نداء القبر، ونداء الشجر، ونداء الموتى، وظواهر الكون وكل ذلك؛ للدلالة على الحزن والتحسر والألم، وهو كثير في أشعار العرب.

وفي جمله (عسى ربنا) استلطاف وترجٍ، والدعاء بلفظ (ربنا) خاصّة على سبيل الاستعطاف طلباً لرحمته ولطفه وتكراره في الآية في قوله (إلى ربنا) مع وروده سابقاً للمبالغة في إظهار التضرع والإنابة، وإيثار لفظ (الرب) دون غيره لما فيه من معاني التربية والعناية واللطف، فالله عز وجل جعل في هذا البلاء النازل بهم تربية لهم ولطفاً بهم. وفي قوله: ﴿أَن يُبْدِلَنَا﴾ قراءتان سبعيتان، قرأ الجمهور: ﴿ **أن يبْدلنا** ﴾ بسكون الباء وتخفيف الدال، وقرأ نافع وأبو عمرو وأبو جعفر ﴿ **أن يبدّلنا** ﴾ بفتح الباء وتشديد الدال(١).

وقد ذهب الطاهر بن عاشور رحمه الله إلى أن القراءتين بمعنى واحد(٢). والوجه عنده أنَّ بدَّل مثل أبدل وكلاهما جاء في القرآن الكريم مثل نزَّل وأنزل.

والذي يظهر - والله أعلم - أنَّ كل قراءة تحمل معنى يختلف عن معنى القراءة الأخرى، فأبدلت الشيء بالشيء : إذا أزلت الأول وجعلت الثاني مكانه وبدَّلت الشيء من الشيء: إذا غيّرت حاله وعينه، والأصل باقٍ كقولك : بدَّلت قميصي جبةً(٣) . قال أبو العباس ثعلب: التبديل تغيير الصورة إلى صورة غيرها، والجوهرة باقية بعينها، والإبدال تنحية الجوهرة واستئناف جوهرة أخرى(٤) وبناءً على ما سبق يكون المعنى مختلفاً في القراءتين.

فقراءة الجمهور ﴿ **أن يبدلنا** ﴾ من الفعل أبدل المهموز، وعليه يكون الإبدال بمعنى جعل شيء مكان شيء آخر؛ كإبدالك من الواو تاء في تالله، فكأنهم دعوا ربهم أن يبدلهم جنّة أخرى خيراً من جنتهم الهالكة.

---

(١) ينظر: النشر في القراءات العشر، لابن الجوزي، ٢/ ٢٣٥،والتيسير، للداني،ص١١٨.

(٢) التحرير والتنوير ٢٩/ ٨٣.

(٣) ينظر: إعراب القراءات السبع وعللها، لابن خالويه، ١/ ٤١٠.

(٤) ينظر: الكتاب الموضح في وجوه القراءات وعللها، لنصر بن علي الشيرازي، ٢/ ٧٩٥. و ينظر في توجيه القراءتين كتاب: الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مكي بن أبي طالب القيسي،٢/ ٧٢.

وعلى قراءة التشديد ﴿ **أن يبدّلنا** ﴾ من الفعل "بدَّل" المضعف يكون التبديل بمعنى تغيير ذات الشيء أو تغيير صفته، فكأنّهم دعوا ربّهم أن يبدل حال جنتهم الهالكة إلى حالٍ أفضل وأحسن من الحال التي أصبحت عليها، والله أعلم.

وجملة ﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ﴾ تأكيد لندمهم وصدق توجههم إلى ربهم، والرغبة: الضراعة والمسألة، يقال: رغب إليه؛ أي: ابتهل وتضرع وسأل[١]، وفيها أيضاً تعليل لرجائهم أن يبدلهم الله خيراً من جنتهم، ولذا فصلت عن الجملة السابقة عليها، وأضافوا الرغبة إلى الله من غير تعيين للمرغوب فيه، وذلك لإفادة العموم، فيشمل كل مرغوب فيه من غير تحديد أمر بعينه.

وفي إضافة لفظ (رب) إلى الضمير ما ينبئ عن عظيم التضرع والتبتل وحسن التوسل إلى الله عزَّ وجل، وتأمل معنى القصر المستفاد من تقديم الجار والمجرور ﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا﴾ على متعلقه وهو ﴿رَٰغِبُونَ﴾ والمعنى: إننا مبتهلون ضارعون إليه لا إلى غيره، فجعلوا رجاءهم ورغبتهم إلى الله وحده لا إلى غيره، وهذا منتهى التنزيه والابتهال[٢].

وفي ختام هذه المشاهد جاء التعقيب مناسباً لما بنيت عليه القصة من التعريض بالمشركين من أهل مكة أن يلحقهم ما لحق أصحاب الجنة من البلاء والبؤس، فقال الله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ وَلَعَذَابُ ٱلْأَخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾، فقوله ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ أي مثل ذلك الذي بلونا به أهل مكة وأصحاب الجنة عذاب الدنيا[٣].

(١) لسان العرب ١/ ٤٢٢.
(٢) الفعل : رغب إذا عدَّي بـ (إلى) كان معناه الضراعة والابتهال، وأمَّا إذا عُدِّي: بالحرف (عن) كان معناه الترك والإعراض عن الشيء، وإن عدِّي بالحرف (في) كان معناه إرادة الشيء والطمع في الحصول عليه، ينظر: كتاب الأفعال، ابن القطاع، ٢/ ٢٨-٢٩.
(٣) ينظر : الكشاف ٤/ ٥٩٦.

و ﴿كَذَٰلِكَ ٱلۡعَذَابُ﴾ جملة من مبتدأ وخبر، وتقدم المسند ﴿كَذَٰلِكَ﴾ على المسند إليه ﴿ٱلۡعَذَابُ﴾ ؛ لإفادة القصر والاهتمام به بإحضار صورته في ذهن السامع[(١)]، والمعنى: العذاب الذي يرسله ربُّنا في الدنيا على المكذبين المعاندين، والذي من شأنه أن يؤثر في النفوس ازدجاراً ووعظاً إنّما يكون مثل ذلك العذاب الذي نزل بأصحاب الجنَّة.

والألف واللام في ﴿ٱلۡعَذَابُ﴾ للعهد الذهني، وفيه تهديد للمشركين من أهل مكة إن لم يعودوا إلى رشدهم ويتجهوا إلى ربهم كما فعل أصحاب الجنة أن ينزل بهم عذاباً مثل هذا العذاب، والمعنى: إنَّ عذابكم الموعود مثل هذا العذاب، والمماثلة بين المشبه والمشبه به مماثلة في النوع وليس في قوة العذاب ونوعه كما سبق بيان ذلك[(٢)]. وقوله: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ دلَّ على أن ﴿كَذَٰلِكَ ٱلۡعَذَابُ﴾ عذاب الدنيا، ولا يخفى ما في ذلك من الطباق، وما يبعثه من إيضاح المعنى وإظهاره؛ ففي تصور أحد الضدين تصور للآخر وتأكيد له.

وهكذا جاءت هذه القصة بأوجز لفظ وأبلغه، فهي كما نلحظ امتازت بالتركيز والتكثيف البلاغي، ودقة الوصول إلى جوهر الغرض عبر القول الموجز والإشارة الدالة التي تشيع بالإيحاءات المصورة التي أسهمت في تجسيم المعاني وتصوير العواطف، وجعلت المشاهد في هذه القصة حيّة تنبض بالحياة والحركة.

* * *

---

(١) التحرير والتنوير، ٢٩/ ٨٤.

(٢) ينظر: ص ٢٣ من البحث.

المبحث الثاني : الدراسة الأدبية

أولا: أسلوب القصّ وعرض الأحداث:

القصّ كما سبق يرد في المعاجم اللغوية بمعنى اتّباع الأثر، يقال: خرج فلان قصصا في أثر فلان، وذلك إذا اقتصّ أثره، وقيل للقاصّ: يقصّ القصص؛ لاتباعه خبرا بعد خبر، وسوقه الكلام سوقا، والقصّ فعل القاصّ [(١)].

ويمكن أن نلحظ من الدلالة اللغوية أنّ القصّ هو : نقل الحادثة من صورتها الواقعة إلى صورة لغوية ، وهو ما يسمى في الدراسات الحديثة بأسلوب السرد الذي يعني : الحديث أو الإخبار عن واقعة ما [(٢)] .

ودراسة السرد تكون بدراسة أسلوب القصّ أي طريقة سرد الأحداث في العمل القصصي[(٣)] وقد آثرت استخدام أسلوب القصّ لخصوصية القصص القرآني فهو قصص له سماته الخاصة التي تتحدد في ضوء أهدافه الدينية وأغراضه السامية.

ولبناء القصص القرآني وعرض مشاهده وقصّ أخباره وسرد أحداثه، سمات وخصائص بلاغية وأدبية ترجع إلى التلاؤم والتناسق والنظم المعجز الذي بدت من خلاله المشاهد والأحداث.

لقد توالت الأحداث في القصص القرآني، وتلاحقت في اتساق بديع وتلاؤم عجيب؛ حيث تقصّ فيه الأخبار، وتسرد المشاهد في كلّ قصة سردا خاصّا.

والعمل القصصي عادة ما يقوم على محورين أساسيين : إمَّا الشخصية وإمَّا الحدث، بمعنى أن تكون الشخصية هي المرتكز الذي تدور حوله الأحداث أو أن تكون الأحداث هي المركز الذي تدور في محيطه الشخصيات، وقد تتوازن في العمل القصصي الشخصية والحدث فيتبادلان الأدوار معاً[(٤)].

---

(١) ينظر: تهذيب اللغة، ٨/ ٢٥٤، ولسان العرب، ٧/ ٧٤.

(٢) المصطلح السردي ، جيرالد برنس ، ص١٤٥، ترجمة عابد خزندار.

(٣) ينظر: ينظر المصطلحات الأدبية الحديثة، محمد عناني، ص٦٠.

(٤) القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، عبد الكريم الخطيب، ص٤٠.

وفي القصص القرآني نرى أسلوباً معجزاً في توزيع المشاهد القصصية، فلا تجد موقفاً تستأثر به الشخصية وحدها أو الحدث وحده، وإنما يحصل الالتقاء بينهما في تناغم إعجازي فيتشكل من اجتماعهما مضمون هو الذي يصبح بطل الموقف، ويكون هذا البطل هو أبرز شخوص القصة، ويكون صوته أندى الأصوات فيها، وأقواها سلطاناً على المتلقين، ففي قصص القرآن «البطل هو القانون التاريخي المرتبط بعقيدة الإنسان وأخلاقه وسلوكه، البطل هو هذا القانون الذي تظهر نتائجه في أقوال وأفعال الإنسان المؤمن أو الكافر صحيحة الآثار في الجماعة التي يعبر عنها أو التي يعارضها.. البطل في منهج قصص القرآن هو الأسوة لغيره، وهو القدوة لمن يقتدي به؛ لأنه أعطى القانون التاريخي في قوله وعمله على أن الإيمان هو الطريق الصحيح لمسيرة البشر نحو هدف جماعي، وتقدم علمي، ونصر محقق» [(١)]، والمتأمل لمشاهد قصة أصحاب الجنّة يجد أنها مشاهد تستثير المتلقي، وتدعوه إلى المتابعة ومحاولة استشفاف ما تحويه من ملامح فنية وجمالية انعكست في ضروب الأسلوب القصصي.

إنَّ الناظر في مجموع آيات قصة أصحاب الجنَّة يجد أنَّها بلغت (١٧) آية تمثلت في (٩٢) كلمة دالّة؛ مما يجعل مسار القصّ مكثفاً جداً، ومشحوناً دلالياً رغم ضيق الحيّز الفضائي الحاوي للقصة، وهذا الإيجاز المكثّف سمة من سمات الإعجاز القصصي في القرآن الكريم يعجز عن الإتيان بمثله أفصح البشر، فـ « كلّ شيء ينتفع بفضله إلا الكلام فإنّ فضله يضر» [(٢)].

النّص القصصي منذ لحظة البداية يقدم ملمحاً أسلوبياً يعتمده كبداية متنامية للحدث، إذْ يركز على (**الابتلاء**) ويجعله مقصداً حاضراً ويربط بين أصحاب الجنَّة وأهل مكة؛ لأخذ الدروس والعبر من هذه السردية الهادفة وشكلت هذه الإشارة الأسلوبية فضاءً واسعاً من التشويق والإثارة.

---

(١) قصص القرآن في مواجهة أدب الرواية والمسرح، أحمد موسى، ص٢١٢- ٢١٣.

(٢) مقالات الأدباء ومناظرات النجباء ، على بن هذيل ، ص ١٢٧.

ولعلنا نلاحظ أنّ هذه القصة لم تبدأ من بداية حياة الأشخاص أو حياة أبيهم فترسم لنا أطوار نشأتهم، وإنّما كان التركيز على حدث معين تتمثل فيه الوحدة بشكل أوضح وأعمق، ويبدو أسلوب القصّ هنا أشدَّ تماسكاً وأكثر استقصاءً لتتركز فيها العظة والعبرة من خلال الاعتماد على الحدث النامي والمتصاعد في مشاهد القصة.

أما صفة هذه الجنة وهيئتها فلم تتعرض له القصة بشيء؛ لأنه لا يتعلق بالعبرة الماثلة من الحدث، وإنما اكتفى بوصفها بأل التي تأتي كما سبق للكمال أو للعهد، ولذا جاء القصّ مكثفاً لا يميل إلى الوصف أو رسم صورة تلك الجنَّة بينما في قصة صاحب الجنتين جاء القصّ واصفاً حال الجنتين وما فيهما من نخيل وأعناب وزروع وما يحيط بهما من مياه متدفقة، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الكهف: ٣٢-٣٣] .

وأسلوب القصّ هنا ينقلنا سريعاً إلى بيئة الحدث ، ويهيئ لنا أن نحيا في جو مشاهد القصة، والشخصية الرئيسة في هذه القصة هم (أصحاب الجنة) والقصّ هنا نحا بنا بعيداً عن الملامح والسمات الخَلْقِية، وإنما تّم التعرف عليهم من خلال صفاتهم الخلقية فهم أصحاب مكر وخداع وجشع وبخل.

ونلاحظ هذه الثنائية البارزة في هذه القصّة من خلال حركتين بارزتين حركة الشخصيات الظاهرة من خلال أفعالهم وأقوالهم والحركة الخفية في داخل نفوسهم الشحيحة الحاقدة، والحركة الثانية تتمثل في (القوة الإلهية) بجنودها وأدواتها الخفية التي تتابع حركة الشخصيات، وترصد تآمرهم، وتعاقب وتدمر بشكل سريع.(١)

والقصّ يبدأ بإلقاء الضوء على اجتماع الإخوة وما دار بينهم من عزم وإصرار، وختم الاجتماع بتأكيد عزمهم بالقسم لزيادة التأكيد، واستيثاق بعضهم من بعض

(١)ينظر: الدراسة الأدبية – النظرية والتطبيق، عبد السلام الراغب، ص١٨٩.

على أن ينفذوا ذلك في الصباح الباكر، ويتناول القصّ بشكل سريع هذا الاجتماع، ولا يفصّل فيه، ويترك ذلك للمتلقي؛ ليستحضر بمخيلته ما يمكن أن يحدث في أجواء التآمر والمكر.

وفي مقابل هذا الاجتماع التآمري الذي تمّ في جوف الليل ينتقل القصّ إلى جانب آخر، حيث ينقل لنا مشهد تدمير ليليّ يتزامن مع اجتماعهم، ينسف ما تآمروا عليه فيقع بهم الحرمان قبل أن يقع بغيرهم من الفقراء والمعوزين .

وربما يقول قائل: إنَّ المبادرة إلى إعلان النتيجة قبل أن يتهيأ أصحاب الجنة لأداء أدوارهم قد حرم المتلقين من جاذبية التشويق وأفقدتهم لذة المفاجأة، ولو تأمل من له أدنى بصرٍ أنَّ القرآن الكريم ينوع في طريقة العرض ويتفنن في تنوع طريقة المفاجأة والمبادرة إلى إعلان النتيجة لا يحرم من لذة المفاجأة، بل يزيد الرغبة توقداً وترقباً، فهو هنا يكشف سر المفاجأة للمتلقين، ويترك شخصيات القصة عنه في عماية، يتصرفون وهم جاهلون بالسر، والمتلقون يشاهدون تصرفاتهم عالمين، وأغلب ما يكون ذلك في معرض السخرية والتهكم بهم؛ ليشترك المتلقون فيها منذ أول لحظة، وتتاح لهم السخرية من تصرفات الأشخاص الذين تدور حولهم أحداث القصة، فبينما نحن نعلم ما أصاب الجنَّة من دمار وقصف، كان أصحاب الجنة يجهلون ذلك تماماً![(١)]

ثم تأمل كيف يتابع القصّ تناميه، وهو يعرض مشهدهم صباحاً وهم يتنادون لتنفيذ مؤامرتهم ويسيرون بحركات سريعة يتمتمون بحديث خافت ويهمسون بكلمات غير مسموعة، ويتابع المتلقي هؤلاء النفر في تآمرهم سراً وهم يمنّون أنفسهم بالاستئثار بجميع الثمر وحرمان المساكين، وينظر إلى حركاتهم المضحكة وأحاديثهم الخافتة.

ويلتقط القصّ لوحة مفعمة بالصورة والصوت الدال والحركة الدائبة المتجددة

---

(١) ينظر: التصوير الفني في القرآن، ص١٨٦.

حين عبَّر عنها قوله تعالى: ﴿وَغَدَوۡاْ عَلَىٰ حَرۡدٖ قَٰدِرِينَ﴾ فهي تصور سرعتهم وانطلاقهم نحو جنتهم مؤكدين ما أقسموا عليه، وعزموا على تبييته، ومفصحة في الوقف ذاته عن لوحة من التهكم والسخرية بهم، وهم لا يعرفون ما ينتظرهم من مفاجأة.

ويبلغ القص ذروته ومنتهاه بالوصول إلى عنصر (المفاجأة) حين يرون جنتهم وقد أحرقت ودمرت بالكامل، ويا لها من مفاجأة وتطور في الحدث والصراع النفسي، إنَّ أسلوب القصّ يبرز لنا أن المفاجأة كانت شديدة الوقع على نفوسهم فأصابتهم بضلالين: ضلال حسي في توهمهم أنهم قد ضلوا طريق جنتهم وعموا عن مكانها، وضلال معنوي أشدُّ وقعاً وأنكى في النفس إذْ عَدُّوا أنفسهم من الضالين الراسخين في الضلالة والغيّ.

وتتحقق في هذا المستوى الإثارة التي تحرك القارئ نحو الأحداث، وتشوقه لمتابعتها وإدراك ما فيها من حقائق وأسرار.

ومن الإشارات ذات الدلالة الموحية ما نلاحظه من أنَّ المشهد الأول قطع بمشهد غيبي مثير يفتح مجالاً عميقاً لالتقاط العبرة والعظة، وليدرك المتلقي أنَّه ليس وحده في هذا الوجود، وإنّما هناك قوة ترعى هذا الوجود وتدير نواميسه وفق قانون الثواب والعقاب، وأنَّ جنود الله غير متناهية؛ لأنَّ قدرته غير متناهية، فالكون كله بإنسه وجنّه، وأرضه وسمائه، وبره وبحره، وكل مخلوقاته مسخرة بأمره، وأنَّ سعادة الإنسان في الإذعان لمدبر هذا الكون والمتصرف في جميع شؤونه، وأنَّ شقاءه يكون في الانحراف عن منهجه وهديه.

ويظهر من تنامي القصّ أن هناك شخصية حاولت منعهم عن حرمان المساكين، وذكرتهم ووعظتهم، ولكنها لم تفلح في إقناعهم، فضعفت أمام إصرارهم وعزمهم، وقد سبق الإشارة إلى أن هذه الشخصية أحدثت نوعا من التردد والإرباك في نفوس الإخوة المتآمرين، ظهرت ملامحه في تقييد انطلاقهم بإنّ الشرطية بدل إذا؛ لإثارة من أبطأ منهم فلم يبادر وينهض؛ لإتمام ما عزموا عليه(١)،

---

(١) ينظر: ص ٢٤٣، من البحث.

والقصّة لم تشر إلى دور هذه الشخصية أول الأمر بل نجد هناك تغييباً لها في أول النّص، وكأنّها كانت تعاين الأحداث وترقبها في خفاء حتى إذا حلَّت بهم الفاجعة صاح بهم منفعلاً: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴾، وهنا تبرز هذه الشخصية لتقوم بدور فاعل في إدارة الحوار واستثمار المواقف.

ولعل مما سبق نلحظ في أسلوب القصّ التنقل السريع في تسلسل الأحداث والاعتماد على تنامي المشاهد وتتابعها سريعا ؛لإيجاد جوّ مليء بالحركة والتفاعل، وكأننا أمام مسرح حافل بالنشاط والحيوية والحركة الحاضرة .

ثم نجد بعد ذلك حواراً غاية في البراعة ينقلنا إلى بيئة الحدث، ويهيئ للمتلقين أن يعيشوا في جو مشاهد القصة وأحداثها، وهو المتمثل في قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴾ .

ولعل من أهم وظائف الحوار في قصة أصحاب الجنة الوظيفة الإيحائية حينما نسمع الشخصيات تتحدث بلسانها بعيداً عن جو القصّ، فيأتي الحوار قطعة مدمجة في مشاهد القصة، ومتناغمة معها، لتجعل هذه المشاهد المعروضة نابضة بالحياة والحركة، ويأتي الحوار هنا؛ لتحقيق الهدف والمغزى من إيراد هذه القصة، وينقل الحوار هؤلاء من موقف التلاوم وشدة الندم إلى موقف الإنابة إلى الله والرغبة فيما عنده.

والمتأمل في جماليات هذا النص القصصي يلحظ اتكاءه على توظيف لغة النص من مفردات وتراكيب توظيفاً فنياً في بناء الأحداث وتصوير الشخصيات، وهي لغة دلالية معجزة في استيفائها لمعاني النص ومقاصده كما لمسنا ذلك في دراسة مشاهد القصّة وأحداثها.

ومما يميز القصّ حضور العنصر الزمني وهيمنته على الأحداث، نجد ذلك في عدة مفردات نحو﴿ مُصْبِحِينَ ﴾ ، ﴿وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ ، ﴿فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴾ ، ﴿اغْدُوا﴾ و﴿وَغَدَوْا ﴾ وهكذا يمكن أن نتبين الزمن من دلالات الأفعال وظروف الزمان؛ فكلمة ﴿ مُصْبِحِينَ ﴾ توحي بالزمن الذي وقع فيه التخطيط وهو الليل، كما تدل على

تحديد وقت عزمهم على الصّرام في الصباح الباكر، ونلمس تحديد زمن الهلاك الذي حلّ بجنتهم في كلمتي ﴿طَآئِفٌ﴾ و ﴿نَآئِمُونَ﴾ ، وتدلنا كلمتا ﴿ٱغْدُواْ﴾ ﴿وَغَدَوْاْ﴾ على زمن انطلاقهم لتنفيذ ما بيّتوه.

والزمن هنا ليس مجرد وصف جامد لا روح فيه، بل هو أصل في بناء الحدث إضافة إلى ما يؤديه من دور كبير في ربط المشاهد، واستحضار الصور، وتطور المواقف ونموها شيئاً فشيئاً.

ثانياً : دقّة التصوير

التصوير أداة مهمة يسخرها القرآن الكريم في قصصه؛ لعرض أحداث المشهد؛ ولتقريب الصورة إلى أذهان المتلقين.

وللقرآن الكريم سماته الخاصة في التّصوير، فهو عندما يعرض المشاهد المختلفة ويقرر موضوعاته المتعددة، لا يعتمد على خطاب العقل وحده؛ ليقنع بل يتجه بكل طاقات اللفظ، ويستخدم جميع الوسائل؛ كي يثير وجدان القارئ أو السامع إثارة روحية ، فتتأثر التأثر التّام.

وقد أشار سيد قطب ﷺ إلى أن: «التصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن فهو يعبر بالصورة المحسة المتخيلة عن المعنى الذهني والحالة النفسية، وعن الحادث المحسوس، والمشهد المنظور، وعن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية. ثم يرتقي بالصّورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة أو الحركة المتجددة، فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة، وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد، وإذا النموذج الإنساني شاخص حيّ، وإذا الطبيعة البشرية مجسّمة مرئية. فأمَّا الحوادث والمشاهد والقصص والمناظر فيردها شاخصة حاضرة؛ فيها الحياة وفيها الحركة، فإذا أضاف إليها الحوار فقد استوت لها كل عناصر التخييل » .(١)

وآفاق التصوير في قصص القرآن الكريم أوسع من أن تدرك ، فهناك تصوير

(١) التصوير الفني في القرآن ، سيد قطب، ص٣٦.

بالحركة، وتصوير بالإيقاع، وكثيراً ما يشترك الوصف والحوار، وجرس الكلمات، ونغم العبارات، وموسيقى السياق، في إبراز صورة من الصور تتملأها العين والأذن والحس والخيال، والفكر والوجدان.[1]

والحركة في ألفاظ قصّة أصحاب الجنَّة يأخذ فيها التصوير طابع الدقة والإحكام، وهذا ما نلمسه في قوله تعالى: ﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ فالفعل (طاف) يصور طواف العذاب بجنتهم واستدارته حولها، حتى أتى عليها من جميع جوانبها، كما نلمس أنَّ هذا الفعل إضافة إلى تصوير الدقة والإحكام يوحي لنا بالمبالغة وسرعة نزول العذاب، لقد استحكم الإهلاك بطواف الطّائف، والطواف كان عليها لا بها؛ ولذا أصبحت كالصّريم.

والتعبير بالجملة الاسمية ﴿وَهُمْ نَآئِمُونَ﴾ للدلالة على الثبوت والدوام، وهي حالية، وفائدة إيرادها تصوير حالتهم وقت نزول العذاب بجنتهم.

ويستطيع المتأمل في ألفاظ القرآن الكريم أن يغوص في معنى الآية وما تخفيه من أسرار ومعانٍ دقيقة مصورة، وحينئذٍ يدرك مزية الإيحاء اللفظي في القرآن الكريم. تأمل قوله تعالى: ﴿ فَٱنطَلَقُواْ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴾ فالفعل (انطلقوا) يصور شدة اندفاعهم، فالانطلاق: سرعة الذهاب نحو الشيء[2]، يقال : أطلقه فانطلق، وأصل الإطلاق التحرر من القيد، ومن عادة المقيد إذا أطلق من قيده أن ينطلق بسرعة، ومنه انطلاق الخيل في السباق، وإيثار هذا اللفظ دون غيره يصور لنا هيئة ذهابهم نحو جنتهم، ويرسم لنا صورة أناس يتسابقون نحو هدف معين.

وتأتي جملة ﴿ يَتَخَٰفَتُونَ ﴾ موحية بالحركة ومصورة لهيئتهم، إنّها ترسم في ذهن المتلقي هيئة هؤلاء النفر وهم يهمسون فيما بينهم، ويسيرون، وقد تقاربت أبدانهم، وأخذوا يميلون برقابهم نحو بعضهم مع دوران أبصارهم وتلفتُهم خشية أن يسمع

(١) ينظر: المصدر السابق ، ص٣٧.
(٢) ينظر : لسان العرب ١٠/ ٢٣٠ مادة (طَلَقَ).

كلامهم أحد، فعلى رغم أنهم وحدهم سائرون في الصباح الباكر لا يسمعهم ولا يراهم أحد من المساكين نجدهم يتسارُون في كلامهم، ولا داعي لهذا التّسار، ولا حاجة إليه، ولكن القرآن الكريم ينقل لنا هذه الهيئة الحافلة بالظلال؛ لتصور لنا ذلك الجشع وتلك الأنانية التي رسخت في نفوسهم وتغلغلت في قلوبهم، وجملة ﴿يَتَخَفَتُونَ﴾ ألقت بظلالها على المتلقي، وبعثت في نفسه سؤالاً: ما هذا التخافت؟ وأيُّ شيء كانوا يسرون؟ فجاءت الجملة الثانية مفسرة لهذا التخافت ﴿يَتَخَفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾﴾، ويشعر المتلقي وهو يقرأ هذه الآية أنّهم كانوا يؤدونها بهمس شديد وإسرار فيما بينهم؛ فيخفض بها صوته، ويؤديها بنفس الأداء فيردها شاخصة حاضرة تدب فيها الحياة والحركة.

وتأمل جمال تصوير حالتهم النفسية بحركاتها وانفعالاتها في قوله تعالى: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ إنَّ هذه الآية تصور شدة الذهول الذي حلَّ بهم عندما شاهدوا جنتهم قد احترقت، لقد بلغ بهم الموقف أن تفرقوا في كل اتجاه غارقين في ذهول شديد وهلع كبير، ثم لمَّا أفاقوا أقبل بعضهم على بعض، بعد أن كان كلٌّ منهم بعيداً عن صاحبه، فحصل بينهم هذا التلاوم، وكأنّنا بهم وأصواتهم يختلط بعضها ببعض، وإقبال بعضهم على بعض يتلاومون يصّور حالة تشبه المهاجمة والتقريع وصيغة التلاوم (مفاعلة) مع حذف متعلقه يخيل في ذهن السامع صوراً متحركة ناطقة من التقاذف والتراشق الواقع بينهم بهذا الإجمال البالغ غاية الإيجاز ودقته.

وتأمل لفظة ﴿لَيَصْرِمُنَّهَا﴾ المشتقة من الصرم، وهو القطع وشدة الحصد، إنها بصيغتها وشدة جرسها وإيقاعها ومجيئها حافلة بالتوكيد توحي بشدة عزمهم وقوَّة إصرارهم ، ولما كان الجزاء من جنس العمل جعل الله جنتهم ﴿كَٱلصَّرِيمِ﴾ وهذا يتناسب مع لفظة ﴿لَيَصْرِمُنَّهَا﴾ وهذه الجملة هي جواب القسم، وجاء على خلاف منطوقهم، ولو جاء عليه لقيل: (لنصّرمنّها) بنون المتكلمين، وفي اختيار الفعل المضارع دون غيره سرٌ بلاغي؛ لأنَّ ذلك هو الذي يصور حالهم بدقة إذْ الفعل

المضارع هنا يدل على التجدد والحدوث، وعلى كون الحدث غير ثابت، بل هو طارئ ومخصوص بزمن معين، وهو الصباح الباكر، ولما كان الصّرام يحتاج إلى تجدد واستمرار حتى يفرغ منه كلياً جيء بالفعل المضارع الذي يناسب تجدد الصرام شيئاً فشيئاً حتى يتم كاملاً، وهكذا نجد أنَّ للتعبير بالمضارع قدرة تصويرية فريدة، فإضافة إلى كونه يدل على استحضار الصورة، نجده يمنح الأسلوب حركة معبرة وناطقة.

ولفظة (**الصَّريم**) وإن كان في معناها غزارة دلالية، وتعطي تأويلات عدة يحتملها السياق، نجد أنَّها أقرب إلى معنى الليل الأسود من شدة الاحتراق، يؤنس هذا المعنى أنَّ هذا العذاب والإحراق الذي نزل بجنتهم حلَّ بهم ليلاً، فناسب إيراد هذا المعنى؛ لقربه وشدة الاتصال به إضافة إلى ما لمسناه سابقاً من معنى المطابقة اللطيفة بين (**أصبحت**) و (**الصريم**) [(١)].

ولفظة (**الصّريم**) بصيغتها وشدة نطقها توحي بالتدمير والفناء بشدة وقوّة، كما تصور بدقّة شدة جبروت الخالق عزَّ وجل وقوة غضبه وبطشه.

إنَّ هذه الصّيغة وما بها من تشديد تحدث ضغطاً على اللسان، وإنَّ الدلالة تستمد قوتها من اللفظة ذاتها، وكل هذا يسهم في صورة الإيحاء ودقته.

وفي قولهم : ﴿ يَٰوَيۡلَنَآ ﴾ نلمس أنّ هذا النداء يصوّر حالة الأسى والحزن الذي أحاط بأصحاب الجنَّة ، وكأنَّهم يقولون : يا ويلتنا، ويا حسرتنا أقبلا، فهذا أوأنكما، فهم ؛ لفرط ما هم فيه من الندم يتخيلون أنَّ الويل والحسرة يسمعان أو يجيبان، وهذا يصوّر للمتلقي الحيرة التي أحاطت بهم، ويشعر بفرط الحسرة والندامة التي حلت بهم.

وهكذا نرى بوضوح دقّة التّصوير في هذه القصّة على ضيق فضائها اللغوي، فهو ألوان متعددة، لون يبدو في رسم الشّخصيات، وآخر يبدو في قوّة العرض، وثالث في تجسيم الانفعالات وإبراز العواطف؛ ورابع في اختيار اللّفظة النّاطقة والمعبرة؛ وبهذا تستحيل القصّة القرآنية حادثا يقع، ومشهدا حيّا؛ لا قصّة تروى وتحكى.

---

(١) ينظر: ص ٣٣، من البحث

ثالثاً : الإيقاع النّغمي

النّغم الإيقاعي ظاهرة بارزة في التعبير القرآني، فالمرء حين يسمع آيات القرآن الكريم تتلى، يشعر بهزة لإيقاعه المتميز، وهو إيقاع يأخذ بمجامع القلوب.

ويعد التنغيم الإيقاعي في قصص القرآن من أهم المنبّهات المثيرة للانفعالات الخاصّة المناسبة عند النطق بها، كما أنَّ له إيحاءً خاصاً لدى مخيلة القارئ والسامع على حدٍ سواء.

والمتأمل في مشاهد هذه القصة يجد أنَّ هذا الإيقاع يتألف من عناصر مختلفة ومتعددة منها: تآلف الحروف مخرجاً وصفة وحركة، وهذه سمة يختص بها القرآن دون غيره، فالتجويد والترتيل الإيقاعي للقرآن الكريم إنّما تحصَّل نتيجة؛ « لترتيب حروفه باعتبار من أصواتها ومخارجها، ومناسبة ذلك لبعضه في الهمس والجهر والشدة والرخاوة والتفخيم والترقيق والتفشي والتكرير وغير ذلك » [(١)].

وحين نتأمل فواصل آيات هذه القصة ، نجد أنَّها تنتهي بروي واحد متكرر وهو حرف النّون – ما عدا قوله " **كالصّريم**"، وتفرد هذه الفاصلة بحرف الميم مغايرة جميع فواصل القصة يوحي بشدة الإهلاك وتمام الإفناء،فتأمل: ﴿**يستثنون**﴾ – ﴿ **نائمون** ﴾ – ﴿ **يتخافتون** ﴾ –﴿ **ضالون** ﴾ – ﴿ **محرومون** ﴾ – ﴿ **يسبحون** ﴾ – ﴿ **يتلاومون** ﴾ – ﴿ **راغبون** ﴾ – ﴿**يعلمون** ﴾، وتأمل ﴿ **مصبحين** ﴾ – ﴿**صارمين** ﴾ – ﴿ **مسكين** ﴾ – ﴿ **قادرين** ﴾ – ﴿ **ظالمين** ﴾ – ﴿ **طاغين** ﴾ ، وهذا الاضطراد في فواصل الآي يحدث ضرباً خالصاً من الإيقاع في انسجامه واطّراد نسقه واتزانه على أجزاء؛ ولهذا كثر في القرآن ختم الفواصل بحروف المد واللين وإلحاق النون، وحكمته وجود التمكن من التطريب بذلك، وكان العرب إذا ترنّموا يلحقون الألف والياء والنون؛ لأنهم أرادوا مدَّ الصوت بها، ويتركون ذلك إذا لم يترنموا. وجاء في القرآن على أسهل موقف وأعذب مقطع[(٢)]، وأغلب

(١) ينظر: تاريخ آداب العرب، الرافعي ٢/ ٢٢٧.
(٢) الإتقان في علوم القرآن ، ٢/ ٢٠٨.

فواصل القرآن تنتهي بالنون والميم«وهما الحرفان الطبيعيان في الموسيقى نفسها»[(١)].

وثمة ترابط ظاهر بين شيوع هذا الحرف في القصة وبين مطلع السورة ذاتها حيث بدأت معتمدة على حرف النّون في قوله: ﴿نٓ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝١﴾.

فـ ﴿نٓ﴾ في أول السورة ذكرت؛ لتدل على أن القرآن مؤلف من مثل حروفهم؛ فيكون ذلك تعريفاً لهم، ودلالة على عجزهم أن يأتوا بمثله، وكل سورة بدئت بحرف من الحروف المقطعة فإنّ أكثر كلماتها وحروفها مماثل للحرف الذي ابتدأت به[(٢)].

وختام فواصل آيات القصة بحرف النون، وشيوع هذا الحرف أيضاً في أثناء القصة، حيث تكرر أكثر من خمسين مرّة ساهم في تحقيق الانسجام الصوتي الناتج من تجاور الحروف والكلمات، وفيه تنبيه إلى سرَّ هذا الحرف المعجز الذي افتتحت به السورة كما سبق؛ فكأنَّ شيوعه بهذه الكثرة، مع افتتاح السورة به؛ تمهيد للإعجاز الذي تحداهم الله أن يأتوا بمثله، واستدراج لهم أن تلزمهم الحجة بأن يعرضوه على ما بين أيديهم من أساطير الأولين .

وأما أثره في الإيحاء فهذا الحرف من أكثر الحروف قدرة على تصوير مشاعر النفس وتجسيدها، فنغمة هذا الحرف عبر المشاهد أضفت على القصة إيقاعاً صوتياً يتلاءم وجو الحزن والندم الذي أصاب أصحاب الجنّة.

كما نلحظ في فواصل آي القصة أن وجود حرفي المد (الياء) و (الواو) ساهم في وحدة الآيات التركيبية ووحدة الانسجام الصوتي والتوافق النغمي وما يلائمها من وحدة نفسية، فتكرار حرف المدّ له أثر قوي في إيقاع النّص؛ لأن كل حرف من حروف المد يكَّون مقطعين خلافاً لغيرها من الحروف، والمد يحتاج إلى جهد نفسي وهو الذي يتناسب مع مشاعر الأسى والحزن التي سيطرت على جو القصة.

(١) تاريخ آداب العرب، الرافعي ٢/ ٢٢٧.
(٢) الإتقان في علوم القرآن ٢/ ٢٢٧.

وتتضافر صور الإيقاع في هذا النص القصصي، فالتكرار بشتى أنواعه يحدث نوعاً خاصاً من الإيقاع تستلزمه العبارة لأغراض نفسية وفنية، فتكرار: **حرف الصَّاد** في ﴿ أَصْحَٰبَ ﴾ - ﴿ لَيَصْرِمُنَّهَا ﴾- ﴿**أصبحت**﴾- ﴿**الصريم**﴾- ﴿مُصْبِحِينَ﴾ - ﴿ صَٰرِمِينَ ﴾أضاف إلى الآيات نغمة صفيرية، وأشاع فيها نسجاً موسيقياً عالي الصوت، وإعادة هذا الحرف الصفيري على « أبعاد متقاربة أكسب تكرار صوته ذلك الكلام إيقاعاً مبهجاً، يدركه الوجدان السليم ، حتى عن طريق العين، فضلاً على إدراكه السمعي بالأذن » [(١)] .

كما نلحظ أن شيوع هذا الحرف جعل الكلمات مفعمة بالصوت والحركة، والظل الذي تلقيه هذه الكلمات يتناغم مع مشهد العقوبة والانتقام الذي حلَّ بجنتهم، فالنتيجة الطبيعية لهذا الأسلوب أن تتعالى معه الأصوات ويصاحبها قوّة؛ لتنبيه المتلقين وتحذيرهم، وهذا ما أحدثه تكرار حرف الصاد. ومثل ذلك تكرار حرف الفاء في (فطاف – فأصبحت – فتنادوا – فانطلقوا – فأقبل) فتكرار حرف الفاء جاء؛ لأغراض منها، « زيادة في النّغم وتقوية الجرس»[(٢)] وهو يوحي بسرعة الأحداث وتواليها، ونلاحظ أيضاً تكرار كلمتي (اغدوا) و (غدوا) ، ففي الأولى جاءت بصيغة الأمر المباشر (اغدوا) في الزمن الحاضر، وفي الثانية بصيغة الماضي (وغدوا) ، وإذا كانت الإشارة الأولى في إطار النداء والتذكير لبعضهم فإن الصيغة الثانية تحولت إلى الشروع الفعلي، وانتقل الأسلوب من ضمير المخاطب إلى ضمير الغائب لاستحضار حالة ذهابهم وتقييد زمنه. ويتصل بهذا التكرار تكرار الضمير المنفصل (هم) في قوله: (وهم نائمون) وقوله : (وهم يتخافتون) وهذا التكرار في الضمير (هم) يفيد التأكيد، ويحدث إيقاعاً يستمد قوّته من المعنى، وهو إيقاع تتغلغل نغمته في النفس مصورة نوعاً من التهكم بهم والسخرية بحالهم.

---

(١) التكرير بين المثير والتأثير، عز الدين علي السيد ص٤٥.

(٢) المرشد إلى فهم أشعار العرب، الطيب، ١ / ٦٨.

ونجد في القصة تكرار الضمير (إنَّا) في قولهم (إنَّا لضالون) و(إنا كنَّا ظالمين) و(إنَّا كنَّا طاغين) و(إنَّا إلى ربنا راغبون)، وهذا التكرار يحدث إيقاعاً نغمياً، ويجعلنا نصغي إلى صوت الحرف المضَّعف، ويشعرنا بضغط قوي من الفك الأعلى لشدقي الفم، مشوب بنغمة إيقاعية تحمل أنيناً ينطوي على توبيخ خفي وتأنيب للنفس الخاطئة جاء في معجم مقاييس اللغة: « وأمّا الهمزة والنون مضاعفة فأصل واحد، وهو صوت بتوجع، قال الخليل: أنَّ الرجل يئنّ أنيناً وأنَّةً وأنَّاً وذلك صوته بتوجع »[(١)].

ولمفردات التراكيب أثر كبير في إحداث الإيقاع داخل العبارة، فنجد بعض الكلمات تحمل دلالات خاصة تسهم في تكثيف نغمة الإيقاع. ولذلك نجد في صيغة (ليصرمنَّها) و (كالصَّريم) عدة مؤكدات تحدث جرساً وضغطاً عند النطق بها، فأصل الكلمة يعني القطع والحصد، وهي تشير إلى القوة والشدة اللذين يسودان جو هذه الآيات، والتضعيف في حرفي (النَّون) و (الصَّاد) يحدث دوياً يشبه الانفجار الذي يرنّ معه الصوت مكسباً اللفظ نوعاً من القوة والفخامة.

وحرف (الرّاء) في أصل اشتقاق الكلمة (صَرَمَ)حرف تكراري[(٢)]يرفرف اللسان حين النطق به، وهذا يعطيه صفة الفخامة والقوة، ثم إنَّ الراء أيضاً حرف مجهور، ينحبس النفس معه ثم ينطلق محدثاً ذلك الصوت المتكرر.

وفي القصة إيقاع آخر ناتج عن عرض أسلوب القصة فمخاطبة النفس – في مطلع القصة– بأسلوب التشبيه ﴿ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ﴾ .

وأسلوب الحوار والاستفهام واستنطاق النفس في قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ ، له إيقاعه الخاص حيث تسوده روح من الحركة

(١) معجم مقاييس اللغة، ١/ ٣٠.
(٢) الأصوات اللغوية، محمد علي الخولي، ص٩٥.

والإثارة؛ تبعث على التأمل والتدبر وحث النفس على التذكر والاتعاظ، حتى تصير النفس كأنّها تخاطب نفسها بنفسها، ولا يفوت المتأمل أن يلمس الإيقاع العام للقصة، وهو على درجة عالية من النّقاء والصفاء، حتّى أنّ من ينصت إليه، « فإنّه إنّما يسمع ضربا خالصا من الموسيقى اللغوية في انسجامه، واطراد نسقه واتزانه على أجزاء النفس مقطعا مقطعا ونبرة نبرة »[1]، وهذا سرّ عظيم التأثير من أسرار الإعجاز السماعي لهذا الوحي الإلهي المقدس.

(١) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، الرافعي، ص ٢١٢ ـ ٢١٣.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد :

فقد توجه هذا البحث إلى دراسة النظم الجمالي في قصة أصحاب الجنة في سورة القلم من الناحية البلاغية والأدبية، وذلك بغية إبراز السمات الجمالية لهذا النّص القصصي الذي يعد نموذجا مميزا للقصة القرآنية.

وقد خرج هذا البحث المتواضع ببعض النتائج التي من أهمها :

١ – أن القصة القرآنية ليست عملا فنيا محضا يقاس بمقاييس الفن القصصي كما هو الشأن في القصة الفنية في التراث البشري، وإنما هي قصة لها سماتها الخاصة التي تتحدد في ضوء أهدافها الدينية وأغراضها السامية، وقد جاءت تخدم رسالتها الخاصّة بجماليات فنية خاصة تتجلى في إبداع العرض وجمال التنسيق وروعة الأداء.

٢– قدرة القصة القرآنية على تجسيم المعاني وتصوير الخواطر وبراعتها في العرض والأداء؛ مما أكسبها طاقة تأثيرية وإقناعية في نفوس المتلقين .

٣– التعبير المركز المشبّع بالإيحاءات بعث الحياة في النص القصصي، وجعله مشاهد حية تنبض بالحياة والحركة .

٤ – التأكيد على قضية الوحدة الموضوعية للقصّة القرآنية، وبيان وجه مناسبتها للآيات التي قبلها في السورة إضافة إلى بيان أوجه المناسبة بين بداية القصة وخاتمتها مما يعكس وجها من وجوه الإعجاز القصصي في القرآن الكريم.

٥ – الانفتاح الدلالي المعجز كان بارز الحضور في قصة أصحاب الجنة على جميع المستويات، فقد برز في المستوى الصوتي والمستوى الدلالي والمستوى التركيبي.

٦ – بيان دور الفاصلة القرآنية في قصة أصحاب الجنة حيث حملت في طياتها أهدافا دلالية مطّردة ومتلازمة مع الهدف الجمالي للإيحاء ودلالة الوفاء بالغرض المطلوب.

وختاما أوجه النّظر إلى أهمية دراسة القصص القرآني دراسة تطبيقية تعنى بإبراز جماليات النّظم البلاغي والأدبي فيها، ففي ذلك بيان غزير وأدب جمّ، وسيبقى القرآن الكريم الكتاب المعجز الذي لا تنقضي عجائبه، ولا تنتهي غرائبه.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله ربّ العالمين.

ثبت المصادر والمراجع

١. **الإتقان في علوم القرآن**، السيوطى، مطبعة الحلبى، عام ١٣٨٩هـ.

٢. **الأدب وفنونه** ، عز الدين إسماعيل ، دار الفكر العربي، القاهرة .

٣. **أسرار البلاغة** ، عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، القاهرة الطبعة الأولى عام ١٤١٢هـ- ١٩٩١م

٤. **الأصوات اللغوية** ، محمد على الخولي، بدون بيانات.

٥. **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية** ، مصطفى صادق الرافعي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، عام ١٤١٠هـ-١٩٩٠م .

٦. **إعراب القراءات السبع وعللها** ، ابن خالوية ، تحقيق عبد الرحمن العثيمين ، مكتبة الخانجى ، القاهرة الطبعة الأولى عام ١٤١٣هـ.

٧. **إعراب القرآن** لأبى جعفر النّحاس ، تحقيق زهير زاهد عالم الكتب ، مكتبة النهضة العربية ، الطبعة الثالثة ، عام ١٤٠٩هـ -١٩٨٨م.

٨. **أنوار الربيع في أنواع البديع** ، صدر الدين بن معصوم ، تحقيق شاكر هادي عام ١٣٨٨هـ .

٩. الإيضاح في علوم البلاغة ، الخطيب القزويني ،تحقيق محمد عبد المغنم خفاجي دار الكتاب اللبناني ،الطبعة الخامسة ، عام ١٤٠٠هـ -١٩٨٠م

١٠. **البحر المحيط** ، أبو حيّان ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الثانية عام ١٤١١هـ - ١٩٩٠م .

١١. **البحر المديد** ، ابن عجيبة ، دار الكتب العلمية ، بيروت الطبعة الثانية .

١٢. **تاريخ آداب العرب** - مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب، بيروت، الطبعة الرابعة، عام ١٣٩٤هـ١٩٧٤م.

١٣. **التصوير الفني في القرآن**، سيد قطب، دار الشروق ط٧ ، عام ١٤٠٢هـ.

١٤. **تفسير ابن جزيٍ**، محمد بن جزي الكلبي ،تحقيق لجنة التراث ، دار الكتاب العربى ، بيروت عام ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م .

١٥. **تفسير أبى السّعود** المسمى: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ،لأبى السّعود، دار إحياء التراث العربي، بيروت .

١٦. **التفسير البياني**، عائشة بنت الشاطئ ، دار المعارف ، الطبعة السادسة ١٣٨٨هـ .

١٧. **تفسير البيضاوي**، المسمى: أنوار التنزيل، تحقيق عبد القادر عرفات، عام ١٤١٦هـ ١٩٨٧م.

١٨. **تفسير غرائب القرآن** ، لنظام الدين النيسابورى.

١٩. **التكرير بين المثير والتأثير** –عز الدين على السيد ،عالم الكتب ، بيروت الطبعة الثانية ،عام ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م.

٢٠. **تلخيص المفتاح** ، الخطيب القزوينى ،دار الأفكار .

٢١. **تهذيب اللغة** ، أبو منصور الأزهري ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب العربي عام ١٩٦٧م.

٢٢. **التيسير** ، لأبي عمر الداني، تصحيح، اوتو يايرتزل، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى عام ١٤١٦هـ

٢٣. **الجامع لأحكام القرآن**، القرطبي ، تحقيق عبد الرازق المهدي ، دار الكتب العربية ، بيروت الطبعة الأولى عام ١٤١٨هـ .

٢٤. **حاشية القونوي علي تفسير البيضاوي** .

٢٥. **خصائص القصة الإسلامية** ، مأمون فريز جرار ، دار المنارة ، جدة ، الطبعة الأولى عام ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م .

٢٦. **دراسات منهجية فى علم البديع** ، الشحات أبو ستيت ، الطبعة الأولى عام ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م .

٢٧. **الدراسة الأدبية –النظرية والتطبيق** ، عبد السلام الراغب ، دار الرفاعي، سوريا، الطبعة الأولى عام ١٤٢٥هـ -٢٠٠٥م.

٢٨. **الزاهر في معاني كلمات الناس**، أبو بكر الأنباري ، مؤسسة الرسالة ' بيروت ، الطبعة الأولى عام ١٤٢١هـ-١٩٩٢م .

٢٩. **سيكولوجية القصة**، التهامى نقرة ، الشركة التونسية للتوزيع، تونس عام ١٩٧٤م.

٣٠. **الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين**، سليمان العجيلي الشهير بالجمل، مطبعة الحلبى، القاهرة.

٣١. **قصص القرآن في مواجهة أدب الرواية والمسرح** ، أحمد موسى، دار الجيل، بيروت عام ١٩٨٧م.

٣٢. **القصص القرآني في منطوقه ومفهومه** ،عبد الكريم الخطيب، عام ١٩٦٤م .

٣٣. **الكتاب الموضح في وجوه القراءات وعللها** ، نصر بن علي الشيرازى ، تحقيق عمر الكبيسى ، مكة المكرمة ، الطبعة الأولى عام ١٤١٤هـ .

٣٤. **كتاب فعلت وأفعلت**، أبو حاتم السجستاني، تحقيق خليل العطية ، دار صادر ،بيروت .

٣٥. **الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها** ، مكى بن أبى طالب القيسى ، تحقيق

محيى الدّين رمضان ، مؤسسة الرباط الطبعة الثانية عام ١٤٠١م .

٣٦. **لسان العرب** ، ابن منظور ، الطبعة الأولى دار صادر بيروت .

٣٧. **المرشد إلى فهم أشعار العرب**، عبد الله الطيب، دار الفكر، الخرطوم ،الطبعة الثانية، عام ١٩٧٠م.

٣٨. **المصطلح السردي**، جيرالد برنس، ترجمة عابد خزندار، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، عام ٢٠٠٣م.

٣٩. **المصطلحات الأدبية الحديثة**، محمد عناني، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، القاهرة، الطبعة الثالثة عام ٢٠٠٣م .

٤٠. **معارج التفكر ودقائق التدبر** ،عبد الرحمن حبنكة الميدانى ، دار القلم ، دمشق الطبعة الأولى عام ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م

٤١. **معجم مقاييس اللغة** ،ابن فارس ،تحقيق عبد السلام هارون، دار المكتبة العلمية القاهرة

٤٢. **مفتاح العلوم**، السّكاكى ، تحقيق نعيم زرزور، دار الكتب بيروت.

٤٣. **مقالات الأدباء ومناظرات النجباء**، علي بن هذيل، تحقيق، عبد الرحمن الهليل، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٤٤. **منهج الفنّ الإسلامي**، محمد قطب، دار الشروق،ظ١٣، عام ١٩٨٣م

٤٥. **النشر في القراءات العشر**، لابن الجزري، تقديم علي الضبّاع، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى عام ١٤١٨هـ

٤٦. **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور** ، البقاعي ، تحقيق عبد الرزاق المهدي دار الكتب العلمية ، بيروت ،عام ١٤١٥هـ-١٩٩٥م

فهرس المحتويات